# بهجة ومطر

محمد إبراهيم الهاشمي

دار الحسام

# بهجةٌ ومطر

## قصص

محمد إبراهيم الهاشمي

المؤلف : محمد إبراهيم الهاشمي

عنوان الكتاب : بهجةٌ ومطر

رقم الإيداع : 2018/61

ردمك : ISBN

978-9959-864-85-7

الناشر : دار الحسام للنشر و التوزيع بنغازي - ليبيا

الطبعة الأولى : 2018

## شكر و إهداء

شكر وتقدير للأديب والكاتب أحمد الفيتوري ، الذي كان منارة أنارت الدرب ، والذي لولاه لما فهمت كيف أكتب

الإهداء

إلى أمي

و إلى بهجة

و إلى تاورغاء ، و ناس تاورغاء

# سلام

ما أجمل أن تَرَى ولا تُرَى . أن ترى الوجوه والأفعال المخفية للبشر . على الرغم ما للأمر من تأثير سلبي على النفس والمزاج .

قبل أن يخلق الله جلَّ في علاه أباكم آدم عليه السلام ، وقَدَّمَ وصفه عن المخلوق الذي هو مقدم على خلقه ، كان ردنا كما هو مذكور في القرآن ( أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ )

و قد كان ردنا بناءً على وصف الله جلَّ في علاه لهذا المخلوق وما فيه من نزعة وميول للشر والظلم ، ومعلوم لديكم أيضا ما كان رد الله جل في علاه علينا ( قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ )

لا أخفي عليكم أننا لم ندرك حينها ما كان يقصده الله جلَّ في علاه و بالأخص أنا . و لأن فضولي اتجاه الكون و كل ما فيه كان أكبر من فضول أقراني ، منحني الله جل في علاه الحرية للنزول إلى الأرض متى أردت ذلك . أدركت حينها ما كان يقصده إلهي .

بالتأكيد أدركتم أنني ملاك ، و أدركتم أنني أتحدث كثيرا ، و أنني فضولي.

كما ذكرتُ سابقا ، جميل أن تَرَى ولا تُرَى ، على الرغم ما للأمر من تأثير سلبي على النفس والمزاج . في جولاتي التي لا تنتهي رأيتكم في جميع حالاتكم ، و في مواقف لا تعد ولا تحصى . أحيانا لا ألومكم ، و أحيانا أتمنى زوالكم .. و لكن الحق يقال ، عندما تتغلبون على الشر الكامن فيكم و يتحرر الحب في قلوبكم ، أتمنى لو كنت مخلوقا من لحم و دم لأحضنكم و أُقَبِّلكم و أبكي و أنا واضع رأسي على أجسادكم

غريب ما يفعله الحب فيكم .. الحب هو ما يحييكم

أحيانا يكون حبا للمال ، أحيانا سُلطة ، وطن ، الموسيقى ، الحياة ، المتعة ، الدمار ، العائلة .. يختلف حب كل واحد منكم ، و لكنكم لا تستطيعون العيش بدون شيء تحبونه

أذكر قول أحدكم عن الحب ( إنَّ الحب هو الشيء الوحيد الذي يقضي على الأنانية بداخلنا ، الحب هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا نضحي بكل ما نملك حتى أرواحنا ، لكي يعيش ما نحب )

و لن تصدقوا عدد الذين رأيتهم يموتون لأجل فكرة يحبونها . غرباء أنتم و لكنكم رائعون

*  *

و أنا الآن في مدينة أحبها " طرابلس " أشاهد شخصان أحبهما كثيرا و هما يتحدثان . متعبان و لكنهما مليئان بالجمال

هو - لكي ينير القمر ، لابد من ضوء يسقط عليه .. كذلك النفس لكي تنير ، تحتاج ضوء

هي - معك حق ، و لكنني تعبت . دعنا نسافر

- كما تريدين

- شكرا حبيبي

خططا لرحلة بالبحر و القطار

توجها إلى تونس العاصمة ، و هما الآن في الفندق نائمان ، بانتظار رحلة الغد .

في صباح اليوم التالي حَزَمَا امتعتهما ، استقلا سيارة أجرة ، و انطلقا باتجاه الميناء . موعد الرحلة الساعة العاشرة صباحا . كانت سعيدة

و متحمسة ، تراقب المارة والمباني باهتمام ، في عينيها بريق من كان يحتضر و عاد للحياة

ما إن وصلا للميناء ، حتى زادت حماستها . اللون الذهبي على سطح البحر يزيد من شهوة الحلم ، و السفينة الراسية على أهبة الانطلاق تجعل حلمها يزيد اتساعا باتساع الأفق

- هذه أول مرة أسافر بحرا

- و أظن كذلك أنها المرة الأولى التي ستستقلين فيها قطارا أيضا

- ماذا نفعل إن كنا من بلد لا بواخر فيه ولا قطارات . وتضحك

كان يتأملها كلما سنحت فرصة لذلك ، شَعْرٌ لو لم تكن مؤمنة بأن الله أمر النساء بتغطيته ، لنسي الحزن كل من يراه ، عينان واسعتان يتوسطهما أنف يميل قليلا ناحية اليمين ، خدان آسران و مغريان ، و شفتاها كذلك ، و جسدها لا تنضب الحياة منه . هي دائما جميلة و لكنها اليوم أجمل ، كل شيء فيها حي ، كزهرة تفتحت بعد سبات دام لأشهر عديدة لتعانق شمس شهر النوار ، لو كان بإمكانها لمشت على الماء

كانت على حافة الرصيف البحري تشاهد الأسماك و تغطس يديها في الماء . التفتت باتجاهه فوجدته مستغرقا يتأملها ، أخدت بعض الماء في يدها و رشته به وهي تضحك

ضحك هو بدوره ، رغم بعض الحزن الذي مس قلبه ، فلم يكن يدرك حجم الأرق والإحباط الذي تعانيه من جراء العيش في بلادهم التي لا بواخر فيها ولا قطارات ، ليبيا . كانت أجمل و أرق من أن تعيش فيها ، فهذا الوطن نسي كيف يعيش منذ مدة طويلة

علت صافرة السفينة ، رفعت المرساة و تنفس كلاهما الصعداء .

كان النسيم خفيفا على سطح السفينة ، و طيور النورس تصيح و تترقب ما يرميه المسافرون لها من طعام .

بعد أن أصبح اللون الأزرق يحيط بكل شيء ولا يُرَى غيره على امتداد البصر ، جلس الاثنان تحت مظلة يحتسيان القهوة

كانت مشاعره مختلطة ، بين الحزن والراحة ، فلم يكن يحب فكرة العيش مدة طويلة خارج المدينة التي يحب ، طرابلس . لكنه كان مثلها منهكا و متعبا من الناس ، كانت لامبالاتهم و عدم إحساسهم بالمسئولية تعذبانه ، لا شيء ينصاع للمنطق أو الضمير الإنساني ، الضباب يلف النفوس والعقول

كان لديه كما لغيره من الأسباب الكثير ليشعر بما يشعر به ، فالحال دائما أنه هنالك كادحون يعملون للبناء ، و آخرون يسرقون و يهدمون ، أناس يحاولون لملمة الجراحات ، و آخرون يفتحون كل جرح لكي لا يتوقف سيل النزف ، أناس تحاول إضفاء بهجة و ألوان ، و آخرون لا يستهويهم إلا قتل الجمال و الفرح

كان مُنهَكا و نسيم البحر خفيفا ، مما جعله يغفو كالطفل على كرسيه . لم تشأ أن توقظه ، كانت مدركة لتعبه . كلاهما كان يحس بما يشعر به الآخر

أخذت تتأمله وهو غاف ، عيناه جميلتان حتى وهو نائم ، أنفه مستدير بعكس أنفها المستقيم ، فمه صغير و شفتاه ممتلئتان ، ضحكت بينها و بين نفسها من فرط حبها لفمه ، خداه يغريان دائما بالتقبيل ، ومستعدان دائما لتلقي هذه القبل ، فكرت أن تقبله على خده ، و لكنها خشيت ايقاظه .

# هل تفكر في الجنة

هل تفكر في الجنة ..

بهذا السؤال ، أخرج ياسين صديقه مروان من حالة الشرود التي كان منغمسا فيها يتأمل المارة خلف زجاج المقهى . ارتشف آخر ما تبقى من قهوته ، و التفت ناحية ياسين

- كم أحب هذا المقهى ، وهذا الحي ( الظهرة ) هنا تكون متيقنا أنك سترى فتيات أشعة الشمس تحنو على شعرهن بلمسات المداعبة . عن ماذا سألتني

ياسين - هل تفكر في الجنة

مروان - جنة السماء والجزاء . أحيانا

أفكر أكثر بجنة الأرض ، جنة الأرض أجمل ، لأنها تُنشأ بدم وعرق و دموع ، كمن ينحت الصخر بأظافره ، ورؤية كل من تحب متوفرة فيها .

ياسين - أفكر فيها كثيرا . ما أجمل أن يتملكك شعور أنك إذا مت ستدخل الجنة . اللهم اجعلنا من أهلها

مروان - آمين

ما يشد تفكيري للجنة ، فكرة الخلود . إنها مخيفة .. أن تعيش إلى مالا نهاية . أَلاَ يفقد الوجود قيمته

تأكل إلى مالا نهاية . تنام إلى مالا نهاية . أَلاَ يفقد الزمن قيمته

أنت مثلا . إن دخلت الجنة و دخلتها أنا ، و التقينا و تحادثنا ، لن تصبح للقاءاتنا قيمة ، لأننا سنلتقي إلى مالا نهاية

يجب أن تموت لكي أحبك . و يضحك

ياسين - تبا لك . و تبا لمقدرتك على إفساد كل شعور جميل ، دعنا نحلم بالنعيم يا أخي ، أنتعذب في الدنيا ، ولا يحق لنا أن نتنعم في الآخرة

مروان - تنعم يا صديقي تنعم

الحل الوحيد ، هو أن يُغيّر الله تركيبة الإنسان عقليا ونفسيا قبل دخول الجنة ليتحمل الخلود .

و لكن إن تغيرنا هل نبقى بشرا

ياسين - تبا لك . و يضحك الاثنان

يعود الصمت ليجلس معهما ، ويتبع الصمت شرود

ياسين يفكر في جنته . في قاصرات الطرف والقصور و صحبة الأنبياء

و مروان يفكر في جنته على الأرض ، حيث لا مجاعات ولا أوبئة ، و جميع الناس لديها مساكن .

تزداد شهوته للحلم فيتخيل محبوبته تضحك

- سأذهب لأحضر المزيد من القهوة لكلينا . يتكلم ياسين وهو يقوم من مكانه

مما يخرج مروان مجددا من شروده . ينظر إلى ياسين وهو ذاهب ليحضر المزيد من القهوة ، و يقول لنفسه محدثا ، حتى في شرودي قبل حلمي لن تتحقق الجنة التي أتمناها . تبا

# ناقصات عقل و دين

كان ممددا على سريره الفردي في شقته الصغيرة ( حجرة ، صالة ، مطبخ صغير ، وحمام أصغر ) حينما طُرق باب الشقة

نهض من مكانه ليفتح الباب وهو في حالة من اللاشعور ، لا يفكر بشيء ، و لا يحس بشيء

فتح الباب و تملَّكته الغبطة لرؤيتها ، عاد البريق إلى عينيه ، و النبض حيويا في قلبه . قبَّلته على خديه ودخلت

هي في الثانية و العشرين ، وهو يكبرها بعام

وضعت حقيبتها على الطاولة الموجودة بالصالة ، واتجهت للمطبخ وهي تقول - سأعد قهوة ، هل تريد ، بالتأكيد تريد

رد هو - فنجان قهوة وأنت مجتمعان ، أنها منتهى السعادة ، و لكن دعيني أعدها أنا

كان يحب إعداد القهوة بنفسه إذا ما زاره شخص عزيز على قلبه ويحبه

- لا . سأعدُّها أنا ، فأنا أحب خدمتك

ابتسم لها ، وجلس على أحد الكراسي الثلاثة بالصالة ، و أخذ يتأملها وهي تعد القهوة

لقد حفظ كل تفاصيل جسدها من كثرة ما تأمله . و كل مرة يتأمله ، كان يتأمله بنفس اللهفة ، كأنه يراه لأول مرة ، كأنه يبحث عن شيء جديد بين زواياه

التفتت إليه فوجدته منهمكا في تأملها ، هزت رأسها يمينا ويسارا وهي تبتسم

أعادته حركة رأسها إلى العالم الواقعي . و أول ما وقع عليه نظره كانت ابتسامتها ، فابتسم

لاحظ انفعالها و اضطرابها

- لما أنت مستاءة ، ما الذي أغضبك

- أحد الطلاب الذين يدرسون معي بالكلية

كان يتناقش مع بعض الطلبة الآخرين ، وكان يتحدث عن المرأة أنها ، ناقصة عقل و دين ، و أنها خلقت من ضلع أعوج لن يستقيم ، و إن حاولت جعله مستقيما كسرته

تصمت للحظات ، تستنشق الهواء بهدوء ، ومن ثم تستطرد

- لقد أغضبني كلامه كثيرا . هل حقا قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك

- لقد حكيتِ لي ذات يوم عن جارتكم المتوفى زوجها

- العمة سليمة . ما بها

- هل امرأة يتوفى زوجها ، و يترك لها أربعة أبناء صغار تقوم بإعالتهم و تربيتهم ، وعلاج من يمرض منهم و لوحدها ، ناقصة عقل و دين

- لا . بالتأكيد لا

- إن الرجل لا يستطيع العناية بعائلة لوحده ، ولكن المرأة تستطيع . المرأة أقوى يا عزيزتي

- آه يا حبيبي ما أجملك

سكبت القهوة و اتجهت للصالة

- تفضل يا حبيبي

- شكرا .. هل فكرتِ لما يقال أَنَّ المرأة خلقت من ضلع

و يقوم من مكانه ليشغل بعض الموسيقى

- لا .. لم أفكر

- لأنك كما قال زميلك ، ناقصة عقل . و يضحك

وهي تضحك - ناقصة عينك [1]

و عاد ليجلس بجانبها

- كم أحب هذه الأغنية ( أغنية يا حبيبي لهبة طوجي )

- و أنا أيضا يا عزيزتي

هو - خلقت المرأة من ضلع ، لأن الضلع أقرب شيء للقلب ، وهو ما يحمي جميع الأعضاء الحيوية بالجسم . لأن الضلع موجود ، يستطيع الإنسان مقاومة الضربات التي يتلقاها . بدون الضلع سيموت الإنسان بعد أول ضربة و صدمة يتلقاها

بدون الضلع ( المرأة ) لا يستطيع الإنسان المقاومة . بدونك يا ضلعي ، لا أستطيع المقاومة

[1] عينك : تعبير ليبي يعني ، تبا لعينك التي لا ترى جيدا

هي - آه منك . لم أعد أريد القهوة ، أريد أن أقبّلك

و يغرق الاثنان في بحر من القبلات بطعم القهوة

.....

# ملاك

آه كم أحب فصل الخريف . لم يكن فصلي المفضل ، حتى التقيت ملاك ، زوجي . اسمه يحيى .

لم يكن يحب أن أناديه ملاك ، لأنه اسم أنثوي في ثقافتنا و يطلق على الفتيات ، و لكنني في قلبي دائما أناديه ملاك ، و سيبقى ملاكي .

كان ملاكي يقدس فصل الخريف ، يرى أن فلسفة الحياة تتجسد في هذا الفصل ، سقوط الأوراق لتنمو مكانها أوراق جديدة ، دورة الحياة التي لا تنتهي . فصل كل الفصول ، أو بمعنى أدق ، الفصل الذي ترى خلاله كل الفصول ، المطر الخفيف تارة ، والقوي تارة أخرى ، السماء الصافية والشمس الساطعة أحيانا ، و الملبَّدةُ بالغيومِ محتشمةُ الشمس أحيانا أخرى .. والرياح .

كم كان ملاكي يحب الرياح . كانت لديه تلك الفلسفة ، أن الأرواح تطير مع الرياح ، و أَّن من يتعلم ركوب الرياح ، قد أدرك ماهية الكون و حركته .

صوفيا بطريقته الخاصة ، على الرغم من أنه يرفض الاعتراف بذلك . كان دائم الترديد لأبيات الحلاج

يا نسيم الريح ** قولي للرشا

لم يزدني الورد ** إلا عطشا

لي حبيب حبه ** وسط الحشى

إن يشأ يمشي ** على خدي مشى

روحه روحي ** و روحي روحه

إن يشأ شئت ** و إن شئت يشأ

أنظري إلى الحلاج : أدرك ما هي الرياح ، لهذا كان يُحمِّلها أشواقه ، لا يدرك ذلك إلا الصوفيون يا عزيزتي

في سني ، عندما يكون المرء في العقد السابع من عمره ، لا يكون أمامه أشياء كثيرة يفعلها . لذلك أقضي معظم الوقت في حديقة المنزل عندما يكون الطقس جيدا

هو أيضا كان يحب الجلوس في الحديقة ، ولكنه على عكسي لا يحب المكوث هنا طويلا . يحبها لأنها توفر له العزلة عن البشر ، كان دائم التكرار لاقتباس سارتر " الآخرون هم الجحيم " . عندما سألته ألهذه الدرجة لا تحب البشر . أجاب مباشرة بابتسامته المعهودة والبريق في عينيه ( أصل كلمة بشر . شر ) .. صمت قليلا ثم أردف

الجنة من دون أناس لا تداس . أي لا تطاق . لا قيمة للجنة و متعها بدون أناس يملئونها ، ولا للحياة بدون من نحبهم فيها . ولكن هذا لا ينفي يا عزيزتي أن من يصنع الحروب بشر ، من يمنع الأدوية عن المرضى بشر ، من يسرق الأحلام والفرح بشر ، ومن يمصون الدماء والعرق بشر أيضا ، لذلك الآخرون هم الجحيم .

كان معقدا وجميلا ، يحب السكينة التي تمنحها الحديقة و يخشى الهدوء المستمر .

كم أشتاق لعقده و جنونه .

في حديقة المنزل تجلس الجدة و بجانبها حفيدتها ملاك تحتسيان الشاي و تتبادلان أطراف الحديث

الجدة - أنا بخير يا حبيبتي ، و لكنني متعبة قليلا

- هل هنالك خطب في صحتك يا جدتي

- لا . و لكن منذ رحيل عزيزي لا أقوى على الحياة .. أشتاق له كثيرا

- جميعنا نشتاق له يا جدتي

- أتعلمين يا حبيبتي لماذا كان جدك يبتسم عندما كنت أناديك ملاكي

- لماذا يا جدتي

- لأنني كنت أناديه هو . لهذا كنت أتعمد ذكر اسمك كثيرا . و تبتسم الجدة

- و أنا الذي كنت أظن أنك تفعلين ذلك من فرط حبك لي ، وأنت كنت تمارسين رومانسية خفية مع جدي

و تضحك كلتاهما

تصمت الجدة قليلا و من ثم تعاود الحديث مع حفيدتها

- أترين تلك الشجرة أمامنا

- أجل

- أترين تلك الورقة الوحيدة ، كل الأوراق سقطت و مازالت هي تنتظر انتهاء رحلتها ، إنني كتلك الورقة ، كلتانا منهكتان

*  *

- إن الرياح قوية بعض الشيء هذا اليوم ، ربما يجب أن ندخل للبيت يا جدتي ، سيصبح الطقس باردا

- دعينا قليلا يا حبيبتي

و تقول الجدة محدثة نفسها و لكن بصوت مسموع - يبدو أن اللحظة حانت

- ما الذي حان يا جدتي ما الذي تقصدينه

- لا شيء يا حبيبتي . لا شيء

تشتد الرياح أقوى و يزداد صريرها . كانت الرياح قوية كفاية لتسقط الورقة الوحيدة .

لاحظت الحفيدة اقتلاع الرياح للورقة ، فقد كانت تنظر إليها وقت اقتلاعها.

تحدث جدتها - جدتي ، انظري لقد سقطت الورقة

و لكن لا صوت ولا حركة تصدر من الجدة

تلتفت الحفيدة باتجاه جدتها ، تجدها مغمضة العينين و مبتسمة

- جدتي هل نمتي في هذا الطقس ، يجب أن ندخل إلى الداخل

و لكن الجدة لا تجيب

لقد كانت على موعد مع الرياح . فقد كان ملاكها على الجانب الآخر بانتظارها

# شاي الزعفران

كلما ازداد الحب ، ازداد خوف الفقد

هواجسي التي تعرفينها ، ازدادت هاجسا

غريب أمر الحب . عندما تحب ، تظن أن راحتك ستكون عندما تتلقى حبا بالمقابل وتتفاعل مع من تحب

و لكن للحب أحكام أخرى تسري تقول ، لا راحة لك إلا ....

ازداد خوفي و اضطرابي ، و أدركت أنني لن أصل إلى السلام الداخلي ما لم تجمعنا الحياة في بيت واحد . بمعنى أدق لن تكون حياتي حياة ، ما لم تجمعنا الحياة في بيت واحد معا

وضع القلم جانبا

فكر في تمزيق الورق ، كان يحس بأن ما يكتبه لها سخيف

تمنى لو كانت أمامه هذه اللحظة ، لقبلها و نسى العالم بأسره على شفتيها

فكر في أن يقوم من مكانه ، ولكن الكلمات كانت تملئه . تأمل الورق أمامه للحظات ، تململ ، ولكنه استقر أخيرا على الذهاب ليحضِّر شاي الزعفران .

وضع الماء ليغلي ، و شرد بتفكيره يسترد تفاصيل جسدها . مر الوقت وهو مستغرق فيما هو فيه . شروده بها . حتى ذكَّره صوت الماء الذي بدأ يغلي بأن يضع أوراق الزعفران . وضع أوراق الزعفران في الماء المغلي

و أطفأ النار

وضع نصف ملعقة صغيرة من السكر في كوبه و ارتشف رشفة خفيفة ، شرد بذهنه مجددا ، تذكر عندما كانا يرتشفان شاي الزعفران من شفتي بعضهما البعض

ارتسمت ابتسامة على شفتيه ، كأنما عاد طعم قبلها إلى شفتيه ، تناول القلم مجددا ، وبدأ يكتب

بسببك أدركت ما مر به أبونا آدم

لقد كان أبونا آدم ، قبل أن تُخلق أمنا حواء ، نصف إله . يطوف في ملكوت الله الأعلى ، لا يُأمر ولا يُنهى ، تسجد له الملائكة أجمعين .

بخلق حواء أصبح إنسانا يُأمر و يُنهى ، دخل الجنة هو وحواء ، أصبح يشتهي ، يفكر ، و يتملكه الفضول ، كانت المشاعر في قلبه خامدة ولم تتحرك أو تنفعل إلا بخلق أمنا حواء . كأنما الحياة بُعثت فيه بها ، و إنسانيته تحققت بها

أصبح إنسانا بخلقها ، و دخل الجنة بها و معها ، كأنما الإنسانية والجنة دربهما حواء

عاش في الملكوت الأعلى معها ، و في الجنة معها ، و في الأرض معها ، تغيرت عوالمه . وهي الثابت الوحيد في عالمه . كانت هي وطنه

( المرأة هي الوطن الذي يعيش بداخله الرجل ، إن وجدها أصبح زاهدا في الحياة )

لو كنت أمامي الآن لقبلتك ، و نسيت العالم على شفتيك

# أحلام

- أين تعيشين الآن ، هل ما زلت تعيشين في شقتكم

- أعيش مع صديقة لي . هي في الحقيقة بائعة هوى ، جمعتنا الأحزان و مصاعب الحياة

تعرفت عليها منذ مدة طويلة ، كنت أراها في الشارع . و يوما بعد يوم زاد التقارب بيننا

كانت أحاديثنا في البداية أحاديث عامة ، نشكو الدنيا وهمومها ، مرحة وعفوية ، تواجه بؤسها بالضحك ، وإذا ما اشتد عليها حزنها ، أشعلت سيجارة تحرقها بين شفتيها وتحترق معها ، و أحيانا تدخن الحشيش

انتقلتُ للعيش معها ، بعد أن عَلِمت بأنه لم يعد لدى مال ولا أقارب لأعيش معهم

*  *

كانت الظلمة قد حلت عندما غادرت نوره شقة مروان راجعة إلى مسكن صديقتها بائعة الهوى أحلام

لم تكن تحس بالخطوات التي تمشيها ، ولا بالشوارع التي تقطعها ، فقد كانت غارقة في التفكير ، وكانت أوصالها ترتعد كلما تذكرت ما كانت مقبلة عليه

- ماذا سأقول الآن لأحلام ، كيف سأخبرها أني خرجت اليوم لأبيع جسدي مقابل مال ، وهي التي دائما ما تذكر لي أنها مستعدة لتقاسم الفراش و الخبز معي ، ولم تشتكي يوما من أعبائي الملقاة على عاتقها

ما حدث قد حدث ، بالتأكيد ستعذرني ، فهي تدرك حجم المرارة التي أحسها في كل لقمة آكلها من فائض خبزها وحنانها ، و تدرك أيضا أنني

أتعذب من كل ليلة أقضيها دافئة ، تدفع هي جسدها مقابلها ، بالتأكيد ستعذرني

نوره . فتاة جميلة ، حنطية البشرة ، خدود متوردة وعينين عسليتين ، يكسو وجهها اللطيف بعض النمش ، كنجوم تزين سماء ، تبلغ من العمر ثمانية عشر .

فتحت نوره باب مسكن أحلام ودخلت ، فأطلت أحلام برأسها من باب المطبخ مخاطبة نوره - مرحبا ، هل خرجت للتمشي

- أهلا أحلام ، أجل فقد مللت الجلوس بالبيت

- تعالي و ساعديني بالطبخ ، لقد كان اليوم جميلا و أنا سعيدة

فكرت نوره في قول ما حصل لأحلام بينما هما مشغولتان بتحضير العشاء والثرثرة ، ولكنها آثرت إخبارها بعد تناول العشاء عند احتساء القهوة ، فلم ترد إغضابها و إفساد عشاءها

أشعلت أحلام سيجارة ، وكانت هذه إحدى المرات القليلة التي تدخن فيها بارتياح ، و جلست بجانب نوره تحتسي القهوة

- لم أخرج اليوم بهدف التنزه والمشي ، لقد ذهبت إلى شقة مروان

و بدأت نوره في سرد ما حصل دونما أن تترك فرصة لأحلام للنطق بكلمة .

استرسلت في السرد و في ذكر الدوافع والتفاصيل ، و أحلام تتبدل مشاعرها بين الاضطراب والفرح ، الغضب تارة ، والإعجاب تارة أخرى

ظلت أحلام للحظات تنظر إلى نوره في صمت ، ثم التفتت إلى الجهة الأخرى ، وسقطت من عينها دمعة رأت نوره انعكاس ضوء المصباح فيها

- آه يا نوره ، لو كان نصف ذكور الدنيا مثله ، لكانت الحياة شيئا آخر .

و ماذا قررت

- لا أعرف ، فقد وعدته بالانتقال إلى شقته غدا ، ولكنني خائفة

- أقسم يا نوره ، أنك إن لم تذهبي غدا ، سأذهب إليه و أحضره إلى هنا ليأخذك معه

و مالت باتجاهها لتحضنها ، قبلتها على عينيها وهمست

- إن مثله لا يأتي من جانبه شر أبدا ، وحتى إن مارستما الخطيئة ، فأنا متأكدة أن الله سيغفر لكما ، فالله دائما يغفر للصالحين والطيبين

قضت نوره و أحلام ليلتهما ساهرتين في الفراش ، كل يفكر في صمت

نوره تفكر في الغد ، في الانتقال للعيش مع هذا الغريب الذي طلب منها أن تعيش معه كأخت تهتم بشؤون المنزل وتطبخ مقابل مرتب شهري .

حمدت الله على أن الظروف لم تسمح لها بالقيام بما كانت تنوي القيام به .

غلبها النعاس بعد أن أرهقها التفكير ، ولكنها اهتدت إلى أن الله معها ، و أخوها يرعاها بدعائه و أمنياته .. أغمضت عينيها و نامت

أحلام غلب دمعها على تفكيرها ، للدرجة التي بللت فيها وسادتها ، نامت هي أيضا ، بعد أن غسلت آلامها بالدموع

أما مروان ، فقد قضى وقتا في التفكير أكثر مما قضت نوره و أحلام مجتمعتين

يفكر في الفتاة التي طرقت بابه بغية بيع جسدها ، بعد أن ضاقت بها الحياة . مسكينة هي ، والداها توفيا في الحرب التي اشتعلت في وطنهم ، هاجرت مع أخيها إلى هنا هربا من وطن تنهشه الحرب بحثا عن حياة و بعض السلام

أخوها ، كم هو رائع هذا الأخ . و استرجع حديث نوره عن أخيها والجلسة التي جمعتهما

ليس لي في الدنيا إلا هو ، وهو ليس له في الدنيا سواي

يكبرني بخمس سنوات ، اسمه مُعين ، كان بالسنة الثانية بالجامعة حينما قدمنا إلى هنا

كانت الحياة جيدة نسبيا أول ما قدمنا ، استطعنا تأجير شقة صغيرة ، و أدخلني إلى المدرسة لأكمل تعليمي .

لم يكمل تعليمه لأنه اضطر للعمل ، فلم يكن المبلغ الذي أحضرناه معنا يكفي لسنوات طويلة ، كان بالكاد يكفينا لسنتين أو ثلاث

لم يكن يعمل بوظيفة ثابتة ، وإنما يتنقل من عمل إلى آخر تبعا للظروف ، و تبعا للعمل الذي يجده ، فأنت تدرك واقع الحال هنا

في نهاية العام الماضي أصبحت الأمور صعبة ، فالمبلغ الذي أحضرناه معنا يشرف على النفاذ ، و كنت بالسنة الأخيرة بالمدرسة الثانوية

أصبحت الضغوطات مرهقة جدا بالنسبة إليه ، فهو كان يريد إدخالي الجامعة لأكمل دراستي ، ولم يكن لديه المال لذلك ، ولا لدفع الإيجار بعد شهرين

ورغم كل ما كان يقاسيه و يعانيه ، لم يصرخ يوما من الانفعال أو يتذمر ، بل حافظ على ابتسامته و هدوئه ، لم يكن يريد أن يشعرني بالقلق أو التوتر ، أو أن الوضع صعب جدا.

كان مروان يستمع إلى حديثها وهو منبهر بهذا الإنسان إلى الحد الذي أنساه تفاصيل هذه الجلسة ، و الدافع لقدوم هذه الفتاة أمامه

حتى تفاصيل وضعنا المالي لم يكن يطلعني عليها بالكامل ، يحكي لي من باب الفضفضة لأكثر إنسان يحبه بعد أن يزين الجمل و يختار مفردات لا تشعرني بصعوبة الوضع

كان يكتفي بجملٍ مثل ، علينا أن نقتصد قليلا هذا الشهر ، أو أن الأجر الذي يتلقاه حاليا ضئيل قليلا ، و ينهي حديثه بابتسامة ملؤها أمل . و حتى حقيقة أن مالنا يشارف على الانتهاء ، لم أعرف بها إلا ..

و هنا بدأت ببكاء شديد ، بكاء كأنه كان مُخزنا لسنوات ، و أُطلق له العنان الآن . أحنت رأسها إلى الأسفل ، ووضعت يديها على عينيها و ازدادت حدة بكاءها للحد الذي جعلها تشهق

فكر في وضع يده على رأسه ليواسيها ، و يحملها على التوقف عن البكاء ، و لكنه امتنع عن ذلك خشية أن يصيبها الهلع

قفزت إلى دماغه جملة كان قد قرأها في كتاب جبران خليل جبران ، كانت أمه تقولها عندما يسألها جبران عن سبب بكائها

- اسمعي . إن الدموع هي القلب ، يخرج من العينين عندما يضيق به الصدر ، توقفي قبل أن يفر قلبك من صدرك

استطاعت هذه الجملة أن تخرجها من حالة الهستيريا التي أصابتها ، فقد تذكرت أنها تبكي أمام غريب ، ومن المعيب أن تفعل ذلك .

بدأت تحاول لملمة نفسها والتنفس ببطء ، و قام هو ليحضر لها منديلا تمسح به دموعها . ناولها المنديل و عاد للجلوس على كرسيه ، و قال لها مع تنهيدة

- تناولي قهوتك تكاد تبرد

تناولت رشفة من القهوة ، تبعتها رشفة أخرى . أعادها السكون إلى هدوئها

مجددا ، و عادت تكمل حديثها . لم تكن تريد تذكر ما حصل ، أو ذكره للناس ، و لكن رغبة قوية للحديث معه كانت تجتاحها ، فقد كانت تحس

- كما قلت لك ، لم أدرك حجم الأزمة التي كان يمر بها أخي ، و حقيقة وضعنا المالي ، إلا عندما وجدت ورقة كتبها و تركها على الطاولة

كتب فيها أن آخر مبلغ يملكه هو هذه الألف جنيه الموضوعة بجانب الورقة ، و أنه قام باقتراض مبلغ من المال ليهاجر به إلى أوروبا هجرة غير قانونية ، و أنه سوف يرسل لي المال بمجرد حصوله على وظيفة ، و أنه سيرسل لي للحاق به بمجرد تأمينه لمسكن . و ختم

أختي .. أعلم أن ما قمت به خطأ ، و لكن لم يعد أمامي خيار . إن نجحت في الوصول إلى أوروبا ، فإن حياتنا ستتغير إلى الأفضل ، و سأتمكن من تأمين الحياة الكريمة التي أتمناها لك ، و أُعوّضك عن سنوات الشقاء .

انتظري رسالتي القادمة . أخوك الذي يحبك أكثر من الحياة

لقد كانت هذه أول مرة يكذب علي فيها . فلم يرسل رسالته التالية التي وعدني بها ، و لن يرسلها أبدا

و عادت الدموع تسيل من عينيها

- فقد غرق مركبهم و فارق الحياة

أحس مروان بالألم يعتصره ، أيعقل أن هذا العظيم ، الذي تمنى قبل

لحظات أن يتعرف به ، ابتلعه البحر . كيف ارتضى أن يبتلع شخصا مثله .

من هو مثله يجب أن يمشي فوق الماء ، لا أن يبتلعه .

كيف يختاره الموت ، و يترك الحقراء الذين يمتلئ بهم وطنه ، بل تمتلئ بهم كل الدنيا

استمر مروان في التفكير ، و أخذه تفكيره ناحية أحلام

و أحلام التي تمثل بطبيعتها أغلب بائعات الهوى بضعفهن و طيبتهن ، بصبرهن و قوتهن على التحمل . توفر لنوره المسكن والطعام حبا .

لا علاقة دم أو قربى بينهما ، فقط جمعهما الحب والألم

و لكن هذا ليس بغريب عليهن ، فمعظم من رماهم الزمن ليمتهنو مهنتها ، يعولون أسرهم ، يوفرون الطعام والمال القليل لأخوتهم ، و كثيرات منهن كن سببا في إكمال أخوتهم للدراسة

الدنيا غريبة ، والإنسان أغرب كائن بها ، الدنيا غريبة و لكن أحكامها ثابتة

أناس تبيع أعضائها ، و جسدها لتعيل من تحب . و أناس تبيع أوطانا ، و تزهق الأرواح ، لأجل امتلاك قصور بها أحواض سباحة

اللهم لا تُغَيّب علينا شمس الاشتراكية

قبل صورة حبيبته . أغمض عينيه ، و هو يردد اللهم لا تُغَيّب علينا شمس الاشتراكية

و نام

# زهرة 1

أنا زهرة . موجودة الآن في بيت صاحبته التي تقطن فيه اشتراكية ، لا أعرف معنى الكلمة ولكنني أسمعها ترددها دائما ، و تصف نفسها بها

اشتراني شخص ما من محل لبيع الورود و نباتات الزينة وأنا حية داخل أصيص للنباتات .

سمعته يخبر صاحب المحل عن سبب طلبه زهرة حية في أصيص ، و ليس أزهارا أو ورودا مقطوفة .

أخبره أنه أهدى لصديقته ورودا مقطوفة ، فاحتجت عليه لأنه أهداها جثة حسب وصفها ، و أن هذه الورود لو لم تقطف ، لعاشت ليالي أكثر بكثير ، تحت الشمس والقمر . لذلك يريد أن يهديها زهرة حية . وها أنا هنا الآن ، أعيش مع الاشتراكية .

آه نسيت أن أخبركم ، هي أيضا اسمها زهرة

غرفتها مثلها دافئة مشرقة ، و بها بعض الفوضى الجميلة ، معظم الوقت تغني نشيد الأممية .

هي الآن خارج البيت ، هناك على الشاطئ ، يمكن رؤيتها من النافذة هنا

زهرة على الشاطئ

ليس بالضرورة أن تفعلي شيئا ، أحيانا عدم فعل شيء ، هو شيء . أليس كذلك

قالتها وهي مغمضة العينين ممددة على الشاطئ . لم يكن بجانبها أحد ، كانت تخاطب نفسها .

النسيم خفيف و لطيف ، ولا مد ولا جزر ، حتى البحر كان يتفق معها ، عدم فعل شيء ، هو شيء . و كلاهما اختارا عدم فعل شيء يذكر

تغير الجو قليلا ، الهواء أصبح أكثر برودة ، و حركة المد والجزر أصبحت أكثر نشاطا ، أخذت تفرك يديها لتدفئ نفسها وهي تنظر للبحر . كان المد والجزر يزدادان كلما ازدادت برودة الهواء . ضحكت من فكرة أن البحر ازدادت حركته لأنه يريد أن يدفئ نفسه . حتى البحر .. لا يحتمل البرودة

نهضت و غادرت

أمام العمارة حيث تسكن ، وجدت جارهم الخمسيني أمام باب العمارة جالسا . حيَّته و سألته عن أحواله

رد الرجل

- بخير يا ابنتي ، إن لم يسقط هذا البناء على رؤوسنا

البناء قديم عمره يفوق التسعين عاما ، ولم يرمم أبدا رغم احتياجه الشديد لذلك

يكمل حديثه - لم نترك باب مسؤول لم نطرقه ، و لكن لا حياة لمن تنادي .

وهذه القمامة التي تتراكم كل فترة كأنها تلال

بالأمس و أنا أمام المقهى ، صف رجل سيارته أمام المقهى و نزل ليأخذ كوب قهوة ، كانت زوجته معه في السيارة ، كانت تتناول شوكولاتة .

بعد أن أنهت تناول الشوكولاتة ، رمت الغلاف من النافذة ، و أخرجت من حقيبتها منديلا معطرا و مسحت يديها

تهتم بنظافة يديها و ترمي القمامة في الشارع

هؤلاء القذرون من الداخل مُدَّعو المثالية ، كم تمتلئ المدينة بهم . و ضحك الاثنان

صعدت الدرج المتهالك ، على الرغم من صعودها و نزولها المتكرر يوميا من الدرج ، دائما تشعر أن الدرج سيهوي ويسقط تحت قدميها . و قبل أن تغيب عن النظر نادتها صديقتها من أسفل الدرج

فتحت باب الشقة و دخلت هي و صديقتها ، سَلَّمَت على والديها اللذين كانا يحتسيان الشاي معا و ذهبت برفقة صديقتها إلى غرفتها

ها قد جاءت زهرة ، و برفقتها صديقتها . الزهرة داخل الأصيص تتحدث

اسم صديقتها ياسمين ، تعرفتْ عليها بإحدى الدورات التدريبية

ياسمين مولعة بالنشاط الاجتماعي . ذات مرة قامت ببرنامج تلتقي من خلاله الأطفال الذين يعيشون وسط عائلات مضطربة ومفككة ، من يقضون معظم أوقاتهم في الشوارع بهدف تعليمهم السلوك الجيد .. مرة تزور دار أيتام .. و مرة تقوم بتوزيع الطعام على العمال الأجانب .

و ذات يوم كانت ياسمين تعرض على زملائها في الدورة التدريبية زيارة دار العجزة . وافق ولدان و ثلاث فتيات ، وعند سؤالها زهرة إن كانت ترغب بالذهاب معهم ، ردت زهرة - لا شكرا . أنا خارج الموضوع

سألتها ياسمين عن سبب عدم رغبتها في الذهاب ، لم تكن تسأل أي أحد ممن اعتذر عن سبب اعتذاره عن الذهاب ، كانت هذه أول مرة تسأل

أجابتها زهرة بأنهم سيذهبون ، و سيُسَرُّون بما يقومون به ، سيشعرون بالرضا لأنهم أدخلوا السرور والفرح لقلوب كبار السن الذين لا يزورهم أبنائهم إلا ما ندر . و بعد أيام سينسون ذلك ، و سينساهم كبار السن كذلك ، فقد مر قبلهم المئات ، و سيمر بعدهم المئات

لن تعودوا إلى هناك ، ستبحثون عن شيء آخر تقومون به يشعركم بالرضا والانسانية ، و ستأخذكم دوامة الحياة اليومية ، ستعودون لما يشغلكم من أمور . برأي إن لم تلتزمو بزيارتهم فلا داعي لذلك

صمت الجميع ، و مرت لحظات ، ياسمين تفكر بما قالته زهرة . و بعدها تكلمت - أنا أيضا انسحب

نظر الجميع باستغراب لما قالته ياسمين ، و لكنهم لم يفكروا به مطولا

ذهبوا إلى دار العجزة ، مرت أيام وهم يشعرون بالغبطة ، و بعدها نسوا الأمر ، و نسيهم كبار السن كذلك

منذ ذلك اليوم توطدت علاقة ياسمين بزهرة

# زهرة 2

- أعلم أن فقدها صعب ، و لكن على الحياة أن تستمر . لو كانت هنا لما ارتضت رأيتك هكذا

تناول كل ما في كأسه دفعة واحدة . نظر إلى صديقه بعينيه اللتان لم تعد فيهما حياة و رد

- لو كانت هنا ، لما كنت أنت هنا

- و لكن ...

أشار إليه بيده لكي يصمت

يستمر الصمت في المكان للحظات

- أتعلم أين رأيتها أول مرة

- لا

- في مظاهرة تطالب بأن يصبح العمال ملاَّكا لأسهم في المؤسسات التي يعملون بها

يرفع رأسه باتجاه السماء كأنه يبحث عنها

كانت ترتدي جينزاً أزرق ، و قميصا يعلو الركبة بقليل ، تلف حول عنقها وشاحا خفيفا بخفة شعرها المتموج

يتنهد ، و يعود لينظر باتجاه صديقه

لو رأيتها ذلك اليوم . ترفع قبضتها إلى أعلى نقطة في السماء و تُطَوّح بها ، كأنها تريد تدمير شيء مقيت يضايقها

- أجل لقد كانت جميلة و رائعة

- لقد كانت زهرة في مكب نفايات

لم يستطع مقاومة دمعه أكثر من ذلك

- كم اشتاق للحديث معها و مجادلتها

يخرج منديلا من جيبه و يمسح دموعه . يبتسم

- هل تذكر عندما كنا نجلس أنا و أنت وياسين ، و دخلت هي علينا و قامت بتقبيل الجميع .

و تعلو ضحكتهما

- أجل . يومها كاد عقل ياسين أن يتوقف . و تزداد حدة ضحكهما

لقد قال لها - معظم الفتيات اللواتي أعرفهن من أقارب وزملاء لا يصافحن ، وأنت تحيّنني بتقبيل وجنتيْ

يومها ردت عليه زهرة

- عندما يرتاح الأطفال لأحد أو يحبونه ، بماذا يعبرون عن مشاعرهم و حبهم

- بالأحضان و القبل

- لأن هذا هو السلوك الطبيعي والفطري للتعبير عن المشاعر . و لكن نحن بطبيعتنا نخشى كل ما هو جميل و فطري

- أخشى أن يقال عنك كلام يطعن فيك يا زهرة ، فالناس هنا لا همَّ لهم إلا من هم بجمالك

- لا أهتم يا ياسين . من يهم هو أنتم ، من أحبهم و يحبونني . أما الآخرون ، فلا أهتم لهم ولا لمقاييسهم عن الأخلاق

سيحكم الله بما يراه ، و أما أعرافهم و نفاقهم فلا أدين بها

- إنها أجمل من هذا البلد وهذا العفن المسمى عُرف . إلههم الذي يعبدون . لهذا اختارها الموت ، لم تخلق لتعيش هنا

- إنها زهرة نبتت في غير أرضها ، أو ربما كانت هذه الأرض وهذا البلد خُلقا لها و لمن هم مثلها ، و نحن هم المتطفلون

يعود الصمت و الحزن ليخيما على المكان مجددا

# وحدة

كان يجلس وحيدا ، على صخرة هي أيضا وحيدة في هذا الركن من الشاطئ حينما جاءت فتاة و جلست على مقربة منه تفصلهما عدة أمتار

في بادئ الأمر ، استغرب قدوم فتاة في بداية العشرينات من عمرها إلى الشاطئ بمفردها . قال لنفسه محدثا ، ربما تسكن بأحد البيوت القريبة من الشاطئ .

شعر بالبهجة لقدومها ، قدومها طرد الوحشة عن المكان . فوجود الفتاة في أي مكان يمنحه حيوية و بهاء .

عاد مجددا ينظر باتجاه البحر

غرست الفتاة قدميها في الرمل بعد أن خلعت حذاءها ، و أخذت تفرك قدميها بالرمل ، كأنها تريد من الرمل والملح أن ينفذا إلى جسمها و يملئان مسامها . أرخت الدبابيس التي تشد الوشاح الملفوف على رأسها ، مما زاد شعورها براحة أكبر . كان الوقت عشية قبيل الغروب بساعة ، و كانت الشمس لطيفة . فشمس طرابلس لا تمنح لطفها ولا حنانها ، إلا قبيل الغروب ، كأنها تعتذر لكل من لفحهم حرها طوال اليوم .

ألقت بنظرها في الأفق ، تتأمل التقاء أزرق البحر بأزرق السماء ، تتبع بنظرها الأمواج وهي تتهادى مع النسيم . تراقب طيور النورس في حركتها الدورية لالتقاط الأسماك ، أحيانا تنجح ، و أحيانا تخرج كما دخلت .

أخدها انعكاس أشعة الشمس على صفحة الماء ، إلى أولى ذكرياتها عن البحر .

كان عمرها بين الثالثة والرابعة . كانت ترتدي ثوبا صيفيا مزينا بالألوان مكشوف الكتفين و يعلو ركبتيها . كانت سعادتها لا توصف وهي تشاهد هذا المد من اللون الأزرق ، و مئات الأشخاص يملئون المكان . الأطفال أمامها يتراشقون بالماء ، تريد الانضمام إليهم ، و لكن خوفها من هذا المد الأزرق جعلها لا تُقدم . شد نظرها الأطفال الذين يركلون الموج بأقدامهم ، هي أيضا تريد ركل الموج . ازدادت حماستها و أخذت تنط في مكانها ، أمسكت بحافة ثوبها و أخذت ترفرف بيديها وهي تنط . تذكرت والدتها التي تصرخ عليها كلما رفعت ثوبها وهي تلعب ( أنزلي ثوبك ) . في حركة لا إرادية التفتت باتجاه أمها بانتظار صرختها . زادت بهجتها عندما وجدت أمها مشغولة بترتيب حاجياتهم ولم ترها .

كان والدها يقترب منهم جالبا آخر حاجياتهم من السيارة ، ركضت باتجاهه ممدودة اليد تريده أن يأخذها للبحر .

بيد ممدودة وهي جالسة أغلقت يدها كأنها تريد استعادة تلك اللمسة وتلك اللحظة ، تذكرت والدها الذي غادرهم و غادر الحياة . فر الدمع من عينيها . أحنت رأسها ووضعت يديها على وجهها و أخذت في البكاء .

هب نسيم قوي طَيَّرَ وشاحها الملفوف حول شعرها

التفت عمر للشيء الذي سقط بقربه . قام من مكانه ليعطي للفتاة وشاحها . أخذت تمسح دموعها بسرعة قبل وصوله

ناولها الوشاح - تفضلي

- شكرا
لاحظ آثار الدمع على عينيها ، تردد في أن يسألها ، و لكنه استحى من ألاَّ يسألها

- كنت تبكين ، هل هناك أي شيء ، هل يمكنني مساعدتك

وهي تضع وشاحها على رأسها - شكرا . فقط بعض الحزن

أومأ عمر برأسه بمعنى حسنا ، والتفت ليعود لمكانه ، لصخرته الوحيدة

أوقفته كلمات الفتاة - أنا وحيدة

لم تعرف لماذا خرجت الكلمات ، و لكنها خرجت

التفت لها عمر - كلنا وحيدون . كلنا

صمتت للحظات و عادت للحديث مجددا

- لقد اشتقت لوالدي . كان صديقي الوحيد . أنه متوفي

- يتقبله الله برحمته

*  *

لاحظ عمر نجمة خضراء مرسومة بقلم حبر أخضر على راحة يدها اليسرى

- ما هذه النجمة في راحة يدكِ

و هي تنظر إليها - عندما تتملكني الوحدة ، أصعد إلى سطح المنزل ، أهرب من الناس والوجود بحثا عن نفسي . أراقب السماء و أسرح بروحي بحثا عمن أحبهم في الفضاء الرحب . من غادروا الدنيا ، ومن لم التقي بهم بعد . أنسج الأمنيات و أُعَلِّقُها بإحدى النجمات ، فهكذا تكون أقرب إلى الله و إلى النجوم الأخرى . و لكي لا أنسى أمنياتي أو يغلبني اليأس ، فإنني أرسمها على يدي ، لكي أتذكرها كلما نظرت إليها

- و لماذا ترسمينها بلون أخضر

- لا أعلم . ربما لأنه لون الأمل و الحياة

يخرج عمر يده اليسرى من جيبه و يريها راحة يده . نفس النجمة ، نفس اللون ، و نفس المكان

- ألم أقل لكِ بأننا كلنا وحيدون

تبتسم - رفيقي ما اسمك

- عمر

- و أنا هناء . و تمد يدها لتصافحه

يهبُ النسيم مجددا ، و مجددا يُطيِّر وشاحها . ينحني عمر ليلتقطه

تتكلم - دعه في مكانه . و تمد يدها لعمر . يمسك بيدها وهي تنهض للوقوف .

وهي ممسكة بيده ، و يداهما متشابكتان بقوة ، يتجهان للبحر معا . فما زالت تخشى الدخول بمفردها للبحر

# الملاك جلال

مرحبا مجددا .. أنا الملاك الفضولي

أنا الملاك الذي حدثتكم في المرة الماضية ، الذي أعطاه الله حرية النزول إلى الأرض ، و الذي أصبح الوقت الذي يقضيه في الأرض أحب إليه من الوقت الذي يقضيه في السماء

بالتأكيد كل يوم أتعرف إلى أناس جدد و مواقف جديدة ، و حكايات جديدة . و لكن يبقى هنالك أولئك الأشخاص الذين أتردد عليهم باستمرار ، لأطمئن على حالهم . ومن ضمنهم هذا الشخص الذي سأسرد لكم ما قاله بلسانه

قبل أن أسرد .. أنا اسمي جلال .. لمن يتساءل عن اسمي

سأسرد الآن ما قاله

هنالك دائما تلك الفجوة التي تتسع كل يوم . من فضائل الحياة ومن لعاناتها أن تدرس الإدارة والاقتصاد

عندها تمنحك الحياة الأدوات لفهم البيئة المحيطة ، و فهمِ أكثرِ عنصرٍ مؤثرٍ بتلك البيئة المحيطة ، الإنسان الربحي . يوصف ضمن الاقتصاد بالرأسمالي ، و يصفه الناس العاديون بالإنسان الشجع . و حتى الله جلَّ في علاه ، خصهم بذمه

( الذي جمع مالا و عدده ) . ( يكنزون الذهب و الفضة ) . ( و يأكلون التراث أكلا لما * و يحبون المال حبا جما )

و حتى عندما أراد أن يخاطبهم جلَّ في علاه ، خاطبهم باللغة التي يفهمون ، لغة الربحية والتجارة .

( هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ) لأنهم يرون في كل شيء صفقة ماذا يفوزون من خلالها

هم موجودون ، و أنا أو نحن ، لا نملك شيئا إلا أن نكرههم ، و نتمنى زوالهم ، مع أنهم لا يزولون ، فقط يفنون .. عندما يفنى الكون

ربما يتساءل بعضكم لما هو ساخط هكذا

في البلد الذي هو منه ليبيا ، و صدقوني هو من أغرب البلدان ، بلد التناقضات .

بلد الموارد الممتازة ، والشعب الذي لا يعيش وفق هذه الموارد . حيث تجد أفضل الناس و أحقرهم ، هنا تجد الكثير ممن يقسم عليك خبزه و مسكنه ، و الكثير ممن يمص دمك و يسرق عرقك ، وحتى دمعك

أعود إلى السبب الذي جعله يسخط .. و تبا له كثيرا ما يجعلني أسخط معه

في بلده الذي هو منه ليبيا . إذا أراد الشخص أن يذهب لأداء عمرة ، فعليه أن يذهب عن طريق مكتب خدمي ، فسفارة البلد التي فيها بيت الله الحرام مكة ، لا تمنح التأشيرة إلا عن طريق مكتب . سيقول كثير منكم ما المشكلة ، فالسفارة لا تريد الازدحام ، و المكاتب تقدم خدمة ، و تعتبر مورد رزق لكثير من الناس ، و لكن أريد منكم أن تسمعوا وجهة نظره ، ما جعله يسخط .

و مجددا أكرر ، هذا كلامه هو و ليس كلامي أنا الملاك جلال . أنا فقط أسرد لكم ما قاله ، وما حدث معه

عندما سَأل أحد العاملين بأحد المكاتب عن ما إذا أراد الشخص الذهاب بنفسه ، يحجز طائرته بنفسه ، و إقامته هناك بنفسه ، فهل من طريقة لذلك

أجابه موظف المكتب ، بأن الطريقة لذلك هي توفير مكتب خدمي التأشيرة

لك ، و تسمى التأشيرة الحرة ، و سعرها ألف دينار .

احتار من ارتفاع السعر ، فسأل لما هي مرتفعة ، فأجابه صاحب المكتب أن سعرها في السفارة مئة وخمسون دينار ، لكن المكاتب تبيعها بألف

شعر بالضيق الشديد من استغلال المكاتب ، و بدأ كرهه لهم ، و ازداد ضيقه و كرهه عندما علم أن كل هذا يسمى بالسياحة الدينية ، كيف يمكن أن تربط عبادة ضرورية بالسياحة .

في الفترة الماضية أراد الذهاب لأداء العمرة ، كان بمفرده ، و كل الحجرات بالفنادق ثنائية ، ثلاثية ، رباعية ، و حتى خماسية .. إلا فردية

أخبره صاحب المكتب أنه إن لم يتوفر شخص آخر ، أو مجموعة يُضم إليها ، فإنه سيدفع ثمن الحجرة الزوجية كاملا ، أي ألفين و خمسمئة دينار وهذه أرخص شيء ضمن برنامج السياحة الدينية ، بالإضافة إلى ثمن تذكرة الطائرة ألف دينار ، مما يجعل المجموع ثلاثة آلاف و خمسمئة دينار .

و لكن صاحب المكتب أخبره بوجود شخص جيد يريد الذهاب ، فهل يضعهما في نفس الحجرة ، عندها سيدفع ثمن نصف الحجرة فقط ، أي ألف ومئتان

وافق .. فلم تكن لديه مشكلة في الإقامة مع شخص آخر . وافق ، و أصبح مصيره معلقا بشخص آخر

انتظر ، و كانت النتيجة أنه لم يذهب . فقد تم منح التأشيرات والتذاكر لأصحاب المستويات الأعلى في الحجز ، من اختاروا المستويات التي تتطلب دفع المزيد من المال

فحسب السياحة الدينية ، يقسم برنامج العمرة إلى مستويات ، من الأعلى سعرا إلى الأقل . و بحكم أن كل مكتب لديه عدد محدد من الكراسي في كل طائرة ، فإن أصحاب المستويات الأعلى هم الأولى بمنحهم الكراسي ، لأن الربحية المادية التي تأتي من خلالهم أعلى .

و حتى يأتي يوم يتم فيه فصل العبادة عن السياحة ، و تتوقف المكاتب الخدمية عن استغلال حاجة الناس ورغابتهم . وتعود سفارة الدولة التي يوجد بها بيت الحرام مكة لمنح التأشيرة للمواطنين مباشرة دون وسيط لمن يريد ذلك ، يبقى لا مكان لمن لا مال كثير لديه

و يبقى الذهاب إلى مكة ، لمن أستطاع إليها سبيلا ، و أشياء أخرى

# هواجس ليلى

كانت تجلس وحيدة عندما دخل الشرفة . تسمر في مكانه للحظات يتأمل كتفيها العاريين . فقد كانت ترتدي ثوب نوم واسع ، يكشف عن كتفيها و ساقيها ، و كانت هذه أول مرة يراها هكذا

وهي تبتسم - هل تتأمل جسدي

هو - اعذريني ، للجمال سلطان . و يصافحها

تزداد ابتسامتها وهي تصافحه - لو كانت نظرات جميع الذكور كنظراتك ، لما اضطرت امرأة أن تعامل جسدها على أنه عورة ، و تلتحف السواد

يجلس بجانبها ، و تناوله فنجان قهوة

اسمها ليلى ، وهي طبيبة ، تكبره بعام واحد ، هي في الثامنة والعشرين ، و هو في السابعة والعشرون . وجه جميل يريح الناظر ، عينان واسعتان حالمتان و حائرتان . فم ليس بصغير ولا كبير ، يفرض عليك مرارا أن تلقي نظرك إليه ، دائم الحركة ، إما كلاما ، أو ابتساما ، أو ضحكا . أنف منتصب القامة ، رأس يميل دائما للأعلى ، كأنه رُكِّبَ هكذا . شعر كستنائي جميل ، كلون شعر أمه ، مما يزيد تعلقه به ، لأنه يذكره بأمه

محجبة ، و لكنها لم تكن تغطي شعرها أمامه

كانت العلاقة بينهما ، علاقة صداقة من نوع غريب . علاقة لا ينبتها لا العرف ولا الثقافة التي يعيشان في كنفها . صداقة ترتوي من نهر الحب الخالد ، تظللها الأخوة.

كان محمد يصف ما بينهما بالبذرة التي نبتت في القلوب ، ترتوي بالحب

و تتغذى على النور ، حتى أصبحت شجرة يغطي ظلها الجميع

هي - هل تعلم لما طلبت رؤيتك والحديث معك

هو - أجل . أدركت ذلك عندما وجدت حفل زفاف بالقرب من منزلكم

كانت ليلى تشعر ببعض الحزن كلما حدث حفل زفاف بالقرب من منزلهم ، لا تحب الذهاب لحفلات الزفاف في الغالب . فقد كانت إجابتها عندما سألها محمد ذات مرة عن سبب ذلك ، أنها لا تذهب إلا إذا كانت تربطها علاقة محبة بأحد العريسين . و لأن حفلات الزفاف حسب وصفها ، سوق كبير تعرض فيه الأجساد و تشترى

يتناول محمد رشفة قهوة ، و تدندن هي مع أغاني الفرح

هي - أمي في حفل الزفاف .. و تستطرد - طرابلس جميلة في الليل ، و ما يزيد جمالها أنك فيها . تبتسم . و تستمر في الدندنة

تخاطب والدها الجالس في الصالة يشاهد التلفاز - حبيبي هل تناولت دواءك

يرد عليها الوالد - أجل يا حبيبتي

تتأمل المارة ، والسيارات ، والمحلات ، يسيل الدمع من عينيها : أنا مشتاقة له

يرد محمد - وهو أيضا يشتاق لك

لم تكن تتكلم عن شخص محدد ، بل عن الشخص الذي تحلم بالارتباط به ، شخص رسمته روحها ، و استشفت الصورة بقلبها .

هي - لا أريد أن يكون مصيري كمصير معظم من تزوجن ، لا أريد أن تخبوا روحي ، أتعرف ما هي مشكلة معظم النساء هنا

ينظر إليها محمد بمعنى ما هي

أنهن يحلمن بشخص كريم الخلق ، يُعَوضهن عن حرمان السنوات ، و يرتق ما فتقه الزمن ، يكون بلسما يداوي جروح الروح ، يحتويهن و يساهم في إعادة إنتاجهن

و لأنهن يعلمن استحالة ذلك ، فالأرض هنا لا تنبت هذا النوع من الرجال إلا ما ندر ، بل تنبت النوع الذي يجعل أرواحهن تنشأ مضطربة ، و نفوسهن مختلة ، فإنهن يلجأن إلى منح كل الحب في قلوبهن لمن لا يستحق . يضطررن إلى العيش في كذبة ، من أجل بعض العاطفة ، و فترات اللقاء في السرير

لا أريد العيش في كذبة . أتفهمني

هو - أجل يا ليلى

أريد رجلا يكملني و أُكمله ، يهتم بالتفاصيل الصغيرة ، كاحتساء القهوة معي ، و تبادل الحديث حول كل شيء ، و حول لا شيء . أتفهمني

هو - أجل يا ليلى

- أريد رجلا يجعلني أطير ، و يطير معي .أتفهمني

- أجل يا ليلى

- و أريد منك أن تصادقه عندما أجده و يجمعنا الله . فأنا لا أريد التفريط في أحدكما

- حسنا يا ليلى ، و لكن اختاريه من طائفتنا ، على مذهب الحب لكي نتصادق

يشرد محمد بتفكيره و ترتسم ابتسامة على شفتيه

أخرجته ليلى من شروده بسؤالها - لما تبتسم .. بماذا تفكر

- كنت أحمد الله أنك لست كمعظم النساء ، تكتفين بقول يجمعنا الله ، ولا تقولين يجمعنا الله بالحلال

- كلمة حلال يا عزيزي ، تعلق على لافتات محلات الجزارة التي تبيع لحما مذبوحا على الطريقة الإسلامية .. و ترتفع ضحكتها

- أريد أن أرقص

تقوم من مكانها ، و تتمايل مع الأنغام و تضحك

يتأملها محمد و ينظر إلى نجوم السماء ، يسأل الله أن يكون كريما معها ، و ألا تنتكس أمنياتها . يرجو أن يكون الله قد تلقف أمنيتها ، فبعض الأمنيات حسب رأيه ، لا تتجاوز سقف الغرفة

تستمر ليلى في التمايل مع الأنغام ، تنحني باتجاهه ، تقبله على خده و تهمس

شكرا لله على وجودك

مضت الأيام ، واليوم محمد و ليلى يعيشان معا ، و هما زوجان .

كان من تبحث عنه . و كانت من يبحث عنها

# أنا قط

أنا قط . ولدت و ترعرعت هنا ، في هذه المقبرة ، إسمي .. لدي ثلاثة أسماء ، أسود و مَعشر و أليف ، و عمري عام و نصف

لوني أسود .. لهذا أطلقت علي القطط الأخرى والحيوانات التي تعيش هنا اسم أسود

و أما قصة الاسمين الآخَرَيْن فسوف أخبركم بها تباعا

كما ذكرت سابقا ، أنا أعيش في مقبرة ، أو بمعنى أصح ، كنت أعيش في مقبرة ، قبل أن ألتقي رفيقي

بحكم أن لوني أسود ، تعودت من الناس عندما تراني أن تُعَوِّذَ بالله و تُبَسْمِل

فمعظم الناس هنا ، لديها ذلك التصور أن كل قط أسود من المرجح جدا أنه جني ، و خصوصا إذا ما رأوك في مقبرة

عندما جاء رفيقي إلى المقبرة ذلك اليوم و رآني ، لم يُعَوِّذْ ولم يُبَسْمِل .

لم أصدق ذلك . قلت لنفسي ربما هو شارد الذهن ، فتعمدت أَنْ أسرع الخطى و آتي أمامه و أقف

و مرة أخرى لم يعوّذ ولم يبسمل ، بل ابتسم لي و أكمل طريقه باتجاه القبر الذي جاء لزيارته .

لن تصدقوا فرحتي .. أن يعاملك إنسان على أنك قط و لست مخلوقا آخر غير ذلك ، شعور لن يفهمه إلا بعضكم ، فما ذنبي إن ولدت بلون أسود ،

في بلد يؤمن بأن كل قط أسود جني شرير . أعلم أن معظمكم لن يكترث للفرح الذي غمرني ، فمعظمكم لا يتمتع بالإنسانية

آه صحيح ، من قال أن التعاطف مع الآخرين والإحساس بالآخر سمة تخصكم وحدكم معشر الإنس حتى تسموها إنسانية ، على العكس نحن أفضل منكم ، فنحن لا نقتل للمتعة ، ولا نعذب غيرنا ، ولا نتملق لمن لديه مال أو سلطة
أعذروني إن اندفعت في نقدكم ، فمعظمكم من الأفضل للجميع لو يموت .

أعود إلى ما حدث ذلك اليوم مع رفيقي . فرحت كثيرا و ازداد فضولي . وصل إلى القبر الذي جاء لزيارته ، سَلَّمَ عليه ، أي على الراقد في القبر بصوت عال ، و جلس على صخرة بجانب القبر ، و بدء بالحديث معه كأنه شخص حي بجانبه و ليس شخصا متوفى
لا أخفي عليكم أنني كنت أسترق السمع ، فحتى نحن المخلوقات الأخرى نصاب بالفضول .. صحيح ليس بنفس المقدار الذي يصيبكم ، فالفضول هو الذي جعل أباكم آدم و أمكم حواء يقدمان على الأكل من الشجرة المحرمة ، و لكننا أيضا نخضع لسلطان الفضول
أخبر الشخص المتوفى كم يشتاق له ، أخبره عن شكل الحياة اليومية ، أخبره عما يضايقه ، و عما يخطط له

يتحدث و يصمت لبرهة ، كأنه يسمع رد الراقد في القبر عليه . يبتسم إذا ما أخبر المتوفى شيئا جيدا ، و يضحك إذا ما سرد له شيئا مضحكا

عرفت من حديثه أنه يحادث أمه ، أخبرها عن أخوته و عن الفتيات اللواتي يحبون

يبدو أنها هي التي سألته ، لأنه كان صامتا كأنه يستمع ، و من ثم ابتسم و بدأ يتحدث ، أخبرها أنهن جميلات و أنها لو كانت هنا لأحبتهن

قرأ بعض القرآن و من ثم ودعها و غادر

لا أخفي عليكم أنني أحبته ، فقد كان مختلفا ، فكل من يأتي هنا يقرأ بعض القرآن و يذهب ، و لكنه هو كأنه يجيء لزيارة شخص حي للحديث و قضاء بعض الوقت

أصبحت لا أغادر المقبرة في أوقات الصباح و في المساء أملا في رأيته مجددا

أصبحت بيننا ألفة . يبتسم عندما يراني

و قد قررت ذات ليلة في المرة القادمة عندما يأتي سأذهب إليه عند قبر أمه

* *

بينما هو جالس سِرت نحوه على مهل . ابتسم عندما رآني

أكملت مسيري حتى وصلت عنده ، أخذ يمسح على رأسي و قال أنت قط أليف . جلست بجانبه و عاد يتحدث مع أمه

ودعها ، ودعني و غادر

هو من أسماني أليف ، كلما رآني ابتهج و خاطبني باسم أليف . يحضر معه علبة تونة كلما جاء . و من ثم أصبح يحضر علبتين ، فعلبة واحدة لم تكن تكفي . فأحيانا يكون أحد القطط الأخرى قريبا ، يشم رائحة التونة و يأتي طلبا للطعام

أصبح الوقت الذي أقضيه برفقته الأحب إلي ، و أصبحت أحزن عندما يغادر

ذات مرة كان حزينا ، لم يكن يتحدث كثيرا ، كنت بجانبه فقال

وجدت في القبور دفئا ** أكثر مما فيكم معشر الأحياء

لم أفهم معنى كلمة معشر

فذهبت مسرعا إلى البوم الحكيم الذي كان يعيش بشجرة عالية

سألته عن معنى كلمة معشر ، فأخبرني أنها تعني مجموع

أحببت الكلمة و أطلقت على نفسي اسم معشر ، فأنا لست قطا فردا ، أنا مجموع من الأفراد .

عندما نهض ليغادر ، ذهبت معه حتى وصل إلى سيارته . فتح الباب فقفزت و جلست معه

ابتسم و قال لي هل تريد الذهاب معي ، مَوَيت بمعنى أجل ، و يبدو أنه فهمني ، أو هكذا خُيّل إلي

و منذ ذلك اليوم و أنا أعيش معه . مع رفيقي

هذه حكايتي أنا القط . ولدت و ترعرعت في مقبرة ، الحيوانات التي في المقبرة أسموني أسود ، لأن لوني أسود ، رفيقي أسماني أليف ، و أنا أطلقت على نفسي اسم معشر ، و ما زلت أرى أننا نحن الحيوانات أفضل من كثير منكم معشر البشر

# حذاء جديد

يمر الصبي من أمام محل الأحذية ، يتوقف طويلا أمام هذا الحذاء . الحذاء بني و أشرطته كذلك

كلما مر من أمام المحل يتوقف طويلا ، ينظر إلى هذا الحذاء ، و كل مرة يتمنى لو كان معه ثمنه ليدخل المحل و يشتريه ، و كل مرة يحني رأسه منكسرا إلى الأرض ، يكمل طريقه حاملا معه خيبته

يعود إلى المنزل

- أمي أحتاج حذاء جديدا ، لقد أصبح حذائي باليا ولا يصلح للمشي

- خذه للإسكافي

- لقد أخبرني آخر مرة أنه لم يعد بالإمكان إصلاحه

تنحني الأم لتقبل الصبي

- حسنا يا حبيبي ، المدة القادمة سأشتري لك حذاء جديدا

يبتسم الصبي لأمه رغم معرفته بأنها لن تشتري له حذاء جديدا ، فهي لا تملك إلا ثمن طعامهم الذي لا يتغير إلا نادرا ، حساء الخضار . و منذ ما يتجاوز الستة أشهر وهي تعده نفس الوعد .

بعد تناول طعام العشاء يقوم الصبي لينام ، يمتد على فراشه يتخيل حذائه الجديد ، البني بأشرطته البنية ، ذاهبا إلى المدرسة و كل زملائه في الصف مأخوذين بحذائه . و تقوم المعلمة باختياره ليقوم بدور البطولة في المسرحية التي سيؤديها الفصل ، فهو يمتلك الموهبة والحذاء المناسب .

يغلبه النعاس و ابتسامته تعلو شفتيه من نشوة الحلم

*  *

الصبي يقف أمام المحل ، ينظر إلى الحذاء . تخرج من المحل صبية في بداية العشرينات ، شعرها أسود و طويل وعيناها بنيتان وتضع على كتفها آلة ساكسفون .

تخاطب الصبي

- هل أعجبك هذا الحذاء

- أجل

- لدي حذاء أجمل منه

- و لكنني لا أملك مالا

- لا حاجة للمال . تعالى معي

و يسير كلامهما حتى يصلان إلى حديقة صغيرة في نهاية الشارع ، تخرج الفتاة من جيبها بعض البذور و تحفر حفرة صغيرة ، و تضع البذور في كف الصبي

- ضعها في الحفرة و تمنى الحذاء الذي تريد

يضع الصبي البذور في الحفرة ، و يتمنى نفس الحذاء البني بأشرطته البنية.

ما هي إلا لحظات حتى تحولت تلك البذور إلى شجرة ، و على أغصانها

أحذية من كل الألوان

لم يصدق الصبي ما تراه عيناه ، أخذ يقفز في مكانه فرحا ، ووقع نظره على الحذاء البني ، حذائه .

أخذ الحذاء و انتعله

صارخا تملئه البهجة

- لا أصدق .. حذاء جديد

- هل تريد الطيران

- هل تقصدين أن هذا الحذاء يطير

- أجل .. عليك أن تنقر الأرض نقرتين ، ومن ثم تقفز عاليا فتطير

ينقر الصبي الأرض نقرتين و يقفز عاليا ، فيجد نفسه يطير حقا . يفرد ذراعيه مقلدا الطيور ، يطير تارة للأعلى ، و تارة يطير فوق مستوى الأرض بمترين ، لا يصدق كل ما يحدث له ، و كل ما يقوم به

يتوقف في الجو مخاطبا الفتاة

- انتعلي حذاء و طيري معي

- لا داعي لذلك لدي أجنحة

و تخلع معطفها مطلقة جناحيها في الهواء

يسألها الصبي

- هل أنت ملاك

- أجل ، و قد أرسلتني والدتك

يمسك الاثنان بيدي بعضهما البعض ، ويرتفعان في الجو يحلقان عاليا

في الصباح يستيقظ الصبي ، مدركا أنه كان يحلم

ولكن شعورا مختلفا في قدميه يحس به

ينظر إليهما ، فيجد أنه ينتعل حذائه الذي لطالما تمناه ، حذائه البني بأشرطته البنية

# قُبلة

بخطوات مثقلة صعد الدرجات الثلاث للمقهى ، فلم ينم جيدا الليلة الماضية .

دخل المقهى فوجدها مستغرقة في التفكير للدرجة التي لم تجعلها تلاحظ وصوله إلى الطاولة حيث تجلس

- بماذا تفكرين

رفعت رأسها فوجدته قد وصل .. لثم يدها بقبلة و جلس بجانبها

تسأله - كيف أنت

هه بضحكة سخرية تعبر عما بداخله من إحباط نتيجة الوضع العام للبلد

- حالي .. حال مواطن يعيش في بلد اسمه العظمى ، و من أسماه غير موجود

عدد المصحات و المشافي الخاصة تجاوز عدد المقاهي في طرابلس ، كم أمقتهم و أمقت ما يفعلون . تبا لتجارة الأمراض

- و لكنها خدمة تقدم علاجا أفضل . وهذا أفضل من السفر والعلاج في الخارج ، فهكذا تبقى الأموال هنا ولا تخرج ، أليس هذا ما يقوله علم الاقتصاد

- هل لو ذهب شخص لا يملك مالا و بحاجة للعلاج ، هل يعالجونه

- لا

- إذاً هي تجارة الأمراض ، التربح من وراء مرض و معاناة أحدهم . أولم يقل ذلك الرجل ، الأمصال لا تباع ، والأدوية لا تباع . فمن باب أولى أن يكون العلاج بالمجان و الدواء كذلك

سأذهب لأحضر قهوة لكلينا

عادت النظرة الحائرة إلى عينيها والشرود . أخذ يتأملها من بعيد ، بعينيها الحائرتين و أنفها المستقيم ، و شفتيها اللتان كان يحج إليهما كلما أحس بخمود روحه

عادت به الذكريات إلى أول مرة تجرأ أن يطلب منها قبلة . دعي روحي تنفذ إلى روحك من خلال شفتيك . يومها كاد قلباهما أن يتوقفا عن الخفقان ، فأن تُقبِّل شخصا ترى الحياة متجسدة فيه ، شعور لا يمكن وصفه .

يومها توقف الزمن و المكان والمعايير والقيم ، لثوانيٍ زال كل شيء ، و لم تبقى إلا الروح والحواس

أخرجه صانع القهوة من شروده

- تفضل قهوتك

- شكرا لك

حاملا القهوة ، عاد و جلس بجانبها ، لم يكن يحب الجلوس مقابلا لها ، كان دائم الجلوس بجانب من يحب

- قولي لي ما الذي يشغل تفكيرك

- أفكر .. هل للموت عقل يفكر به .. و هل الموت دنيء

- وما الذي دفعكِ لهذا التفكير

- أَتَذكُرُ تلك القطة الصغيرة التي أخبرتك عنها ، التي أنجبتها أمها فوق سطح منزلنا

- أجل تلك القطة التي مَرِضت و أخَذْتِها للطبيب البيطري ، و أخبرك أن تُحضريها في الغد إن هي عاشت للمراجعة .. ما بها

- الموت لم يمهلها حتى الموعد الثاني

في البداية لم تعد تقوى علي الوقوف والمشي ، و من ثم لم تعد تقوى حتى على الحركة

لماذا الموت تلذذ بتعذيبها ، لماذا جعلها تعاني الألم لأيام ، ما الفائدة من عذابها ، فلو كانت إنسانا لقلنا أن عذابها ابتلاء ، و لكنها قطة صغيرة ، لا تُبتلى ولا تحاسب

- يبدو أنها لم تكن تتعذب وحدها ، فكلاكما كان يتعذب

- أجل يا حبيبي .. أتعرف ما معنى أن يكون بجانبك كائن صغير يتعذب . ومع كم العذاب الذي يعانيه ، كلما نظرت إليه لتفقد حالته ، يبادلك نظرة ملؤها حب و شكر ، و كلما حاولت إجباره على الأكل ، تسمع في أنينه رجاء على التوقف ، فلم تعد هناك فائدة . لا أنينها ولا عيناها يفارقانني

ما الفائدة من أن تتعذب . لا أستطيع التوقف عن التفكير

- أتذكرين عندما تناقشنا مرة حول السينما ، و ما هي أفضل الأفلام

- أجل

- حسنا ، تأملي معي الحياة . تخيلي أن المرض والعذاب والأوبئة من نصيب المخلوقات التي تحاسب فقط ، الإنس والجن حسب النص القرآني ،

و باقي المخلوقات لا تمرض ولا تجوع ، لا تتعذب ولا تتقاتل ، هل كانت الحياة ستكون بهذا العمق و بهذه الغرابة

- بالطبع لا

- أرأيتِ

الحياة أعظم فيلم ملحمي . خلقت الحياة بهذا الشكل لتصل بمشاعر الإنسان إلى حدودها القصوى .

إلى النقطة النهائية لمن يمتلك قلبا مرهفا و بصيرة

تتأمله للحظات و من ثم تتكلم - أحبك

هو - لولا السينما و الأغاني و أنت ، لأصبحت مدمنا على مضادات الاكتئاب

# سحر قرطاج

بينما هو يسير حاملا مظلة في يده . استوقفه لحن كان يأتي من نافذة . طالع النافذة ، فلم يجد عندها أحدا

تأمل السماء فاحصا ، جلس و فتح مظلته . و لكن لا سحب في السماء ، ولا إشارة لهطول المطر .

مرت خمس دقائق وهو على حاله ، جالسا في مكانه فاتحا مظلته ، ناظرا إلى الأرض يستمع إلى اللحن

مع آخر نوتة معلنة عن انتهاء اللحن ، رفع نظره باتجاه السماء . وجد القمر مكتملا و قطعة منه تطل من النافذة على هيئة فتاة .

لَوَّح لها بيده ، و أشار لها أن تنزل ، و بدأ المطر في الهطول

قصة بوبولينا ، مستوحاة من رواية زوربا اليوناني

# بوبولينا

كان الجو باردا ، و رذاذ المطر الخفيف يداعب النافذة ، و يحرك شهوته للمشي .

فكر يحيى في أنه من السيء إضاعة مثل هذا الجو في البقاء بالمنزل .

ارتدى معطفه و لف شاله حول عنقه و خرج مطلقا العنان لروحه و قلبه ، لعل المشي يريحهما أو يتعبهما فيهدئان .

أثناء المشي كانت الأفكار تمر على عقله دون هدي ، و دونما توجيه منه .

فكرة واحدة كانت تلح و تتكرر كلما رأى شيئا جميلا يستفز روحه ، كم الناس في أرضنا بؤساء و مشتتون ، يمرون على الحياة ولا يتعلمون كيفية عيشها

لماذا المقاهي هناك ، ليست كالمقاهي هنا . و لماذا لا يزرع الناس الأزهار هناك ، كما يزرعها الناس هنا . متى سيتعلم الناس هناك ، أَن الحرية كنز ، و أن السعادة في التواجد مع من تحب ، و تبادل الحديث معهم .

مرت ساعة وهو يمشي . وصل إلى ساحة صغيرة بها أكثر من مقهى .

المقاهي جميلة ، انعكاس ضوء المصابيح على المياه المتجمعة على هيئة برك صغيرة جميل ، حبات المطر التي تكلل الأزهار جميلة ، والقمر المكتمل الذي آثر الحضور ليكمل المشهد جميل . كان كل شيء يذكر بها .

جلس على أحد الكراسي و أخذ يقلب نظره في المكان

- لا يطالع السماء ، إلا حالم بما يتمنى أو عاشق

التفت يحيى ناحية الصوت . فوجد رجلا في متوسط العقد السابع من عمره كانت خدوده متوردة ، تعلو شفتيه ابتسامة و يبدو على هيئته أنه أكثر من احتساء الخمر حتى وصل حد الانتشاء

و قبل أن يجيب يحيى . استطرد الرجل

- لا تجبني ، أنت عاشق . إنني أرى طيفها في عينيك

و بدأ الرجل في غناء أغاني الحب ، و الدوران حول نفسه بخطوات راقصة

كان العجوز يتحرك بألق ، يدور حول نفسه فاتحا ذراعيه يغني ، و كلما ازداد زهوه ، يرفع نظره إلى السماء ، و يعلو صوته أكثر ، ومن ثم يلتفت باتجاه يحيى وهو يبتسم

- قم و أرقص معي

- لا أعرف كيف أرقص

- هراء

و يتوجه العجوز إلى يحيى ليأخذه من يده و يدفعه للرقص

ما إن وضع يده على يد يحيى حتى توقف ، صمت قليلا و من ثم قال

- يدان دافئتان ، و قدمان معقودتان ، الحب يملئ قلبك ، و لكنه لم يعلمك الطيران بعد

مجددا لم يجد يحيى ما يقوله . فكر في أن من أمامه شخص نافذ البصيرة يرى ما في القلوب ، أو مجرد سكير منتشي ، و لكنه أحبه في كلتا الحالتين

أخرج العجوز من جيبه صورة قديمة

- هذه بوبولينا ، بوبولينتي

أنظر إلى جمال شكلها و جسدها . صحيح أنها الآن في العقد السابع من عمرها ، و لكن حتى الآن مازال جسدها يقتلني

و ضحك ضحكة خبث

لم تكن ملفتة للنظر ، و لكنها في عينيه كانت الأجمل

نظر العجوز باتجاه الأفق في صمت ، كأنه يرى ذكرى أمامه

و عاد مجددا يسترسل في حديثه

- عندما نجد الحب ، نستميت لكي لا نتركه يذهب . و كلما كان الحب أكبر ، كان الاستمات أكثر .

لا أعلم إن كان الله موجود أم لا .. و لكنني عندما وجدت بوبولينتي ، تضرعت لكل القديسين و إلى الله ، أن يزرعو حبي في قلبها ، حتى أنني أشعلت شمعة أمام أيقونة الأم القديسة . فليتقدس اسمها

و صنع إشارة الصليب على صدره

- عندما أعود إلى البيت ، و أجد بوبولينتي ، لا أندم أبدا على ما فعلتُه .

لابد أن الله يفهم . نعم إن الله يفهم ، لذلك خلق النساء

لا شيء يجعلنا ننسى بؤس الحياة ، أو على الأقل نقبله ، سوى النساء

و عاد مجددا يشير إلى الصورة

- أنظر إلى جمال بوبولينتي ، و جمال جسدها

و علت مجددا ضحكته التي يشوبها الخبث

- لا تخف ، صدقني يا بني ، لا أحد يجد الحب و يتركه الآن دعنا نطير بالرقص ، و غدا ستطير بالحب

# حنين

تحسس نبضه ، ليتأكد إن كان لا يزال حيا

ضوء النجوم المطل من النافذة ، و برودة الهواء تقول أنه لا يزال حيا .

و لكن لماذا لا يشعر بشيء ، لماذا لا يحس بالهواء الذي يملئ رئتيه و يخرج ، لماذا لا يحس بهذا النسيم البارد

السماء سماء طرابلس و كذلك النجوم ، استغرق في التفكير ، ربما هو يحلم ، أو ربما خرج من البيت و كان متجها إلى مكان ما ، ووقع في الطريق و أغمي عليه ، و تخدرت حواسه

أخرجه من تفكيره صوت رجل كان يحادث نفسه بصوت عالٍ ، يبدو عليه أنه في العقد السادس من عمره

إيه دنيا .. اليوم أربعطاش في الشهر العربي والقمر مهناش

من وين بيطلع القمر و أنت مهناش

شده حديث الرجل ، رفع ظهره ليجلس ، و سأل الرجل الستيني

- يا عم ، عن من تتحدث .

نظر إليه الرجل - من غيره يا ولدي ، الله يرحمه و يسامحه و يسامحنا

- من .. من يا عم

لم يلتفت الرجل مجددا و لم يرد ، كأنه عاد يطوف في الملكوت الخاص به . وعاد يحادث نفسه بصوت عال

الله يرحم عظامك عظمة عظمة ، يلي في عهدك كل كلب في فمه عظمة

لم يدرك عمن يتحدث الرجل الستِّيني ، ولكنه أدرك أنه ممدد على سرير بإحدى المستشفيات

# اكتئاب

في المقهى

يجلس الاثنان يتبادلان الحديث ، بينما صديقهم يجلس بعيدا ، متجهما جاحظ العينين

يتكلم أحدهما - ما مشكلته .. بالأمس كان يطير فرحا ، بالكاد قدماه تلمس الأرض . و اليوم منكفئ على نفسه كأنه شبح

- مشكلته أنه دائما ينسى

- ما الذي ينساه

- ينسى طبيعة البشر هنا

- ما الذي حدث له

- الأنا

- ما الذي تقصده

- بالأمس . عاد إلى البيت كما تراه على هذا الحال ، لم ينم ولم يتكلم إلا نادرا ، حتى الابتسام ، كان يحتاج منه أن يستدعي كل طاقة الكون لكي تنصاع شفتاه

عندما سألته ما به لم يجبني ، أدركت أن قلبه كان ينزف

- و لم تحاول أن تسأله مجددا

- لا .. وجدت ورقة كان قد كتبها و تركها على الطاولة

- ما الذي كتبه

- الأنا

كل شيء يتمحور حول الأنا . عندما نكون جيدين ، نكون جيدين إرضاء للأنا . عندما نقوم بعملٍ خَيِّر نقوم به لكي نشعر بالسعادة ، لكي تسعد الأنا. حتى عندما نحب ، تتدخل الأنا . نحب لكي نتلقى حبا بالمقابل .

المشكلة .. هي عندما نحب ذلك الحب الكبير . ذلك الحب الذي يجعل الأنا تختفي , تتحول من أنا .. إلى أنا وهو . حينها .. أن لم يتحد أنا وهو .

تصبح الأنا ، نصف أنا

# الحياة اليومية

المكان ، عاصمة ما

بينما يتمشى من غير وجهة محددة ، مر من أمام دار للإيواء

دار لإيواء النساء اللواتي لا مسكن لهن ، كان باب الدار مفتوحا ، ألقى نظرة باتجاه الدار

لَفَتَت نظره امرأة يبدو من ملامحها أنها في نهاية العقد الثالث من عمرها ، ما شده فيها نظرة القوة التي كانت تملئ عينيها رغم الإنهاك و التعب اللذان كانا واضحان كثيرا لمن يراها

*  *

اليوم الثاني كان كالذي سبقه ، خرج يتمشى بهدف اكتشاف المدينة و معرفة شوارعها أكثر

كانت المدينة كئيبة ، لون أبنيتها غامق وباهت ، معظم أحياءها متواضعة ، باستثناء حي واحد مر خلاله صدفة حينما كان يستقل سيارة أجرة ، أدرك أن الحي قانطوه مسؤولو الحكومة ، والتجار واللصوص الكبار . المنازل ضخمة ، والشوارع بعرض 20 متر ، ومَلئَ برجال الأمن .

كانت المدينة كما الوصف الذي سمعه عنها ، لا لون لها ، ولا طعم ولا رائحة .

بينما هو يسير سمع امرأتان تتحدثان خلفه ، فالتفت باتجاههما .

كانت نفس المرأة التي لفتت نظره في دار الإيواء .. نفس الكنزة الصوفية العنبرية ، نفس التنورة السوداء ، نفس تسريحة الشعر ، نفس الإنهاك

و التعب ، ونفس نظرة القوة والعينان الجميلتان
كانت المرأة صاحبة النظرة القوية تحادث المرأة الأخرى بصوت مسموع لمن يكون قريبا منها

- لقد قالوا لي اليوم أنه لم يعد هنالك ما يمكن أن يقدموه لي كعلاج ، وأنه يجب أن أغادر دار الإيواء لأنني لست مواطنة من أهل هذا البلد ، قالوا أن الميزانية لم تعد تحتمل مصاريف إضافية .
ومرت المرأتان من أمامه مكملتان سيرهما
علم من لهجتها أنها من بلد آخر ، بلدٌ ممن يطلق عليها بلد شقيق
شعر ببعض الحزن ، وأخذه تفكيره لاإراديا لما سيكون عليه مصير المرأة إن هي خرجت من دار الإيواء
و لكنه لم يسمح للحزن أن يسيطر عليه ، ففي هذا العالم ملايين الحالات المشابهة ، التي لو حزن الإنسان على كُلٍ منها ، لما عاش أكثر من ساعة ، ولقتله الحزن
مر أسبوعان على إقامته بهذه المدينة ، أصبح يعرفها إلى حد ما ، وتعرَّفَ كذلك على صديق يقول عن نفسه عدمي ، يؤمن بلا جدوى الحياة ، والعدم.
لم يكن عدميا ، مع أنه يحب أن يصف نفسه بذلك . كان مليئا بالشك و البحث الدائم عن الأسئلة الكبيرة
فيه تناقض غريب بين حب الحياة وتقديسها ، والبحث عن المتعة خلالها ، والنظرة السوداوية والميل للاستخفاف بكل شيء . يعيش في شقة صغيرة

بالقرب من عائلته

أمام المطعم القريب من دار الإيواء ، مكان التقاءهما الدائم ، وقف الاثنان يتبادلان أطراف الحديث ريثما ينهي العدمي تدخين سيجارته

بادر العدمي بالحديث

- هل تعلم ما أدركته بالأمس

- ماذا

- أن الله خلق الحياة على أُسس ، وأن أهم تلك الأسس هو الصراع .

صراع الإنسان مع النفس ورغباتها ، صراع الأقوام والشعوب ضد بعضها حتى الحيوانات من جنس واحد تتصارع من أجل الطعام أو من أجل التزاوج

- هل أدركت ذلك قبل أن تدخن الحشيش أم بعده

- بالتأكيد بعده

و يضحك الاثنان

جاءت ممرضة تحمل ملفا في يدها باتجاه رجل كان يَهِمُّ بدخول المطعم ، خاطبته

- سيدي الطبيب ، هذا ملف المريضة ، نحتاج توقيعك لنكمل لها العلاج

وَقَّعَ الطبيب ، أخذت الملف وانطلقت باتجاه دار الإيواء

علم ياسين من الصورة الموضوعة على الأوراق أن المريضة المعنية ، المرأة صاحبة النظرة القوية

شعر بالبهجة . فمن المخزي أن تخرج امرأة من دار للإيواء لأنها ليست مواطنة من أهل البلد

# فرح

2015-3-18

كل ما في الأمر ، أننا كنا نعيش في بيت قديم . ليس مهترئا ، ولكنه قديم وتنقصه العديد من الأشياء

حلمنا بتحويل هذا المنزل ، إلى منزل جميل . به حديقة مليئة بالورود وألعاب للأطفال

كنا حالمين وبسطاء ، لم تكن لدينا لا استراتيجية ، ولا إلمام بتفاصيل كيفية تحويل هذا الحلم إلى حقيقة . فكما قلت نحن حالمون وبسطاء ، ولا علم لنا بمثل هذه الأمور التي تحتاج إلى أشخاص يفوقوننا ذكاء وبصيرة

كل ما كنا نعرفه وندركه ، هو أننا نملك المال ، والمال هو الوسيلة لتحويل البيت إلى منزل جميل

جاء قادتنا من خبراء استراتيجيين وقضاة و قالوا لنا عن كيفية تحقيق الحلم . وزادوا في الوصف والتزيين ، حتى جعلونا نرى المنزل مكتملا أمام أعيننا

و بالتأكيد شاركهم في الشرح والتزيين علمائنا في الخارج ، من غادرونا منذ ما يفوق الثلاثة عقود ، حتى نسيناهم ونسونا ، لكنهم تذكرونا عندما بدأنا نحلم

كثيرون زاغتهم هذه الرؤيا وهذا التصور .

فكلمات قادتنا وقدرتهم على جعل الأمور تبدو كأنها حقيقة ، كانت أكبر

من أن يتخيلها أمثالنا من سذج حالمين

و اليوم لازلنا نعيش في نفس البيت .. أصبحت جدرانه مهترئة أكثر مما كانت . سقط معظم سقفه . حتى أن كثيرين منا ، يغرقون تحت المطر ، و تفتك بهم سيوف الصقيع عندما يحل الشتاء ، و تذوب أدمغتهم من حر الشمس ، وتتشقق جلودهم من فعل الهواء في كلا الفصلين

صار البيت أضيق من أن يتسع للكل

و خبرائنا الاستراتيجيون ، وقضاتنا ، وعلمائنا الذين كانوا بالخارج ، من زينوا لنا الحلم ، يعيشون اليوم في الخارج . في بيت أجمل من بيتنا

*  *

لا تهتموا للكلام الذي كان يقوله صديقي ، فهو يميل دائما إلى النحيب . حالم و ساذج . ما المشكلة في أن يموت الألاف ، ومعظمهم لا يعرف سبب موته .. ما المشكلة في أن يُذَل الناس من أجل لقمة العيش ، أن يبكي أرباب الأسر لعدم قدرتهم على توفير حاجيات أطفالهم .. ما المشكلة في أن يغادر الألاف من الأطفال فصول الدراسة .. ما المشكلة في أن يُتَاجَرَ بنا ، نحن من لا حول لنا ولا قوة ، من نطلق على أنفسنا ، كادحون .

أليست هذه هي الحياة

لا تهتموا لما أقوله . فليذهب كل شيء للجحيم .. و ليعش الإنسان ، أينما كان

*  *

أنا الذي كنت حدثتكم أول الأمر ، الحالم الساذج كما يسميني صديقي . لا أريدكم أن تلوموه ، مع أني أعلم أن معظمكم لم ينزعج مما قاله ، بل أن معظمكم تفهمه

أنا وهو ، أي زياد نعرف بعضنا منذ سنوات طويلة . كان أكثرنا ميلا للتفاؤل . ما يزال كما هو بنفس خلاصه الحميدة ، رغم أن الزمن أنهكه ، وجعله يميل أكثر للواقع

ليس لديه أخوة أو أخوات ، وحيد والديه . توفي كلاهما في حادث سيارة عندما كان يبلغ السابعة عشر .

تخطى هذه الأزمة ، أنفق ما تركه له والداه بحكمة . كانا ميسوري الحال و تركا له ما يضمن له حياة مستقرة .

دخلنا الكلية سوية . كانت روحه متقدة ، يلقي المحاضرات يوميا عن العمل ، و أهمية العمل الذي ينتظرنا بعد التخرج . و بقيام الثورة في 2011 ، زادت أحلامه اتساعا

كان في السنة الأخيرة من دراسته ، و تجمعه علاقة حب مع فتاة تتجاوز كونها فتاة بالنسبة أليه ، كانت بالنسبة له هي الحياة

اسمها حواء على اسم أول امرأة في هذا الكون ، و لها من اسمها حظ كبير

عفوية و فريدة ، لم تكن تطيق لا التكلف ولا التصنع . ربما لهذا لم تكن لديها صداقات حقيقية مع أي فتاة ، فمعظم الفتيات هنا يملن للتكلف و التصنع ، وغالبا بدون وعي منهن .

كان حينها مقبلا على الحياة ممتنا . في الثانية والعشرين ، درس التخصص الذي يحب ، لديه أصدقاء ورفقة رائعون ، وتوأم روح

لم تمضي مدة طويلة حتى بدأ يخبو .. كان أولنا إدراكا ، أن الحلم مضى . و ما هو قادم سيء

لكن إصراره بقي كما هو ، و قيمة العمل بقيت الأهم بالنسبة إليه

ازدادت علاقته قربا من حواء ، لولاها لانطفأ البريق في عينيه . كان كل شيء يسير بهما نحو بيت جميل يجمعهما ، و حياة أجمل

2012-12-18

ليلتها تلقيتُ مكالمة منه ، كان قلقا وطلب مني القدوم إلى منزله

عندما وصلت ، أخبرني أن حواء كانت تحادثه قبل أن يتصل بي ، و أخبرته أن والدها قد أخبرها أن قائد ميليشيا يريد الزواج بها ، وأنه موافق .. وأنها أخبرت والدتها أنها تحب شخصا آخر وتريد العيش معه

كان قلقا من أن طمع والدها أكبر من أن يتفهم ابنته ، أو أن يكترث لها

في اليوم التالي ، اتصل بعمه وأخبره أنه يريد منه الذهاب معه لخطبة فتاة . رحب عمه وأخبره أن يأخذ موعدا لذهابهما

حُدد الموعد بإلحاح من حواء ووالدتها ، فذهبنا عمه ، هو ، و أنا

استقبلنا والد حواء بتململ ، لم نتجاوز دقائق حتى أخبرنا أنه لا يملك شيئا شخصيا ولا سببا يجعله يرفض زواج ابنته من زياد ، ولكنه قرر أن تتزوج من اللص ، الثائر الكبير

حاول عم زياد بكل الطرق أن يقنعه برغبة ابنته و ابن أخيه . ولكن عبثا .

نصحه والدها أن ينسى و يكمل حياته ، فما هي إلا مسألة وقت ، حتى تصبح ابنته زوجة لرجل آخر .

ليلتها لم يتحدث زياد بكلمة ، كان كشبح

لم تحدث حفلة خطبة ، إذ أن حواء رفضت وانتحبت ، ولكن تم تحديد موعد الزفاف بعد شهرين ، في الأسبوع الأخير من شهر النوار فبراير

رغما عنها

توقف الزمن بالنسبة لزياد . كان ينام أحيانا لثمانية عشر ساعة ، وأحيانا تمر أيام دونما أن ينام .

عندما التقى زياد وحواء بعدها ، طلبت منه أن يغادرا سويا

- أرجوك ، دعنا نغادر هذا الجحيم ، ثلاث ساعات ونكون على الحدود التونسية ، وبعدها نذهب حيث نشاء . أخبرت أمي وقد وافقت مكرهة ، لكنها موافقة

- و لكنني غير موافق . أنت تعلمين أني مستعد لفعل أي شيء ، أي شيء لنعيش معا . ولكني لا أريد لك أن تعيشي حياة الهاربة . ويلوككِ الناس بأفواههم كلما تذكروك

- ولكني لا أهتم

- أنا أهتم

زفرت الهواء و قالت - أنت تحكم علي بالموت

لم يرد بكلمة

صفعته وهي تبكي . ضمته لدقائق . ثم غادرت

كان مليئا بشعور أن هذا الزواج لن يتم .. لم يكن يعرف سبب ذلك ، لكن هذا الشعور كان كيقين سكنه

* *

في ليلة السابع عشر من شهر النوار فبراير ، حواء تبكي فوق سطح منزلهم ، يملئها السخط على كل شيء ، وتقتل روحها شيئا فشيئا ، لكي لا

تشعر بشيء عند وقوع الكارثة

وبينما يحتفل المحتفلون ، وينتقد المنتقدون ، والرصاص ينطلق نحو السماء ، أصابت رأسها رصاصة ، جعلت ثقل التفكير فما هو آت يتوقف ، و غرقت في بركة من الدماء ، لا أحد يشاهدها ، سوى الله ، القمر ، ونجوم السماء

لم تمت .. حمدا لله . و لكنها دخلت في غيبوبة

2015-9-7

مضى عامان ونصف و الحال كما هو عليه ، عادت بعض الحياة إلى قلب زياد

يذهب كل يوم إلى المستشفى ، وعندما لا يكون أحد من أقربائها معها ، يدخل ويجلس بجانبها لساعات

في العام الماضي تزوجت أنا ، وكانت تلك المرة الوحيدة التي ابتسم فيها زياد من قلبه وفرح

و قبل مدة قريبة ، شاهد زياد خبرا في الجريدة وصورة لفتاة صغيرة عمرها عام ، عثر عليها وحيدة في الشارع ولم يعثر على والديها ولم يطالب بها أحد

اتصل بي زياد تلك الليلة وجاء لزيارتي ، أخبرني عن الفتاة الصغيرة ، و أنه لو كان متزوجا هو وحواء لكانت هذه الفتاة الصغيرة ابنتهما الآن

طلب مني أنا وزوجتي أن نتبناها .. فالقانون لا يسمح بأن يتبناها هو ، لأنه

يعيش بمفرده و غير متزوج

وافقت زوجتي برحابة صدر ، على الرغم من أن مولودنا الأول لم يبلغ شهرا بعد .. و لكنها ارتأت أن ذلك سيساعد زياد على التصالح مع الحياة

باع زياد منزله ، و بنى منزلا فوقنا ، وانتقل للعيش فيه

أتممنا اجراءات التبني ، و أختار لها زياد اسم فرح

كانت زوجتي تهتم بكل شيء يخصها من طعام ورعاية وتغيير للحفاظات ، ويساعدها زياد كلما كان متفرغا ، وعندما يجيء موعد النوم ، تنام مع زياد في بيته

*  *

2019-7-4

اليوم صار عمر فرح خمس سنوات ، و صار لي طفلان

زياد متزوج الآن من حواء ، و قد أنجبا توأما .. و لا يزالان يعيشان فوقنا

و فرح تناديني أنا وزياد بأبي ، وتنادي زوجتي وحواء بأمي

تتدلل على الجميع ، و تُفاخر دائما بعدد والديها المضاعف ، وأنها الأخت الكبرى لجميع إخوتها

# مطر

جَالِسٌ أمام النافذة ، ينظر إلى الخارج ، ومستغرق في التفكير

يومٌ آخرُ ممطرْ .. يظل للمطر سحره الخاص . كثر يحبون المطر .. المشتاقون والفلاحون

لا أعلم لماذا يتم دائما الربط بين المطر والشوق لمن نحب .. هل لأنه يحبس شريحة واسعة من الناس في بيوتهم ، مما يضطرهم لقضاء الوقت مع بعضهم في جو من الحميمية و تبادل الحديث والذكريات ، أم لأنه يحرك شهوة المشي تحته برفقة شخص آخر

لا أعلم

و لكن صدقا .. المطر يغسل القلب من أحزانه ، يجعلنا نتفاءل بالغد ، و يحرك شوقنا للحلم ولمن نحب

و أنا الآن أشاهد المطر .. أشتاق لك .. أشتاق للبعيدين .. وللذين غادرونا

لم يحدث شيء يذكر الأيام الماضية .. كأنه نفس اليوم يتكرر ، السماء يكسوها اللون الرمادي ، ولا أعرف لماذا أتضايق من لون السماء كلما كانت رمادية

لا أذكر تحديدا ، كم مرة رأيت المطر ينهمر والشمس مشرقة ، ربما مرة أو اثنتين .. فهذا شيء نادر الحدوث في سماء طرابلس ..ولكن ما أذكره ، هو شدة ابتهاجي

أن يجتمع المطر ونور الشمس شيء مميز حقا .. ولو كان الأمر بيدي

لزدت عدد مرات حدوث ذلك ، ولكن هذا كأشياء أخرى ، ليس بأيدينا

هذا ما هو عليه الحال الآن ، المطر ينهمر و أنا أشاهده ، و أتجنب النظر إلى السماء الرمادية .. أشتاق لك ، أشتاق للبعيدين ، و للذين غادرونا

*  *

الناس هنا يحبون المطر ، ويحبون رمزيته للخير .. رغم أنهم يتضايقون من البلل الذي يصيب أحذيتهم الرخيصة ، والوحل الذي غالبا ما يلطخ ملابسهم ، والتفافهم من شارع إلى لآخر ، لأن المطر يغلقه

يظل حبهم للمطر كما هو ، ولا يسمحون لأي شيء من هذا ، بأن يُغيّر من هذا الحب

- تفضل قهوتك

يلتفت ناحية الصوت .. الممرضة فاطمة

- شكرا يا فاطمة

- العفو

يدخل ممرض آخر وهو يصرخ محادثا الطبيب - عليك أن تأتي بسرعة

ينهض الطبيب بسرعة للحاق بالممرض الذي خرج مسرعا

وجد على السرير في حجرة الإسعاف ، شابا في السابعة والعشرين ، مغماً عليه ، كل جسمه جروح ، وممرضة تقوم بقص ملابسه بمقص لكي يتم إسعاف الجروح

ذهل لحجم جروحه .

*  *

بعد إسعافه للمصاب والقيام بما تقتضي الحالة ، خرج من الغرفة .. هرع إليه رجلان يسألان عن الشاب المصاب

- كيف هو الآن

- بخير

- هل ستشفى جراحه

- أجل . ولكن ستبقى آثارها .. فالجروح عميقة

ما سبب هذه الجروح .. حقيقة لم أعرف ما يمكن أن يسبب مثل هذه الإصابة . ما الذي جعل ملابسه تتمزق وهي على جسده ، والجراح منتشرة في معظم مناطق الجسد

- آه يا دكتور

قالها أحد الرجلين . الأكبر سنا .. كانت هيئته وملامحه تدل على أنه في نهاية العقد الخامس من عمره

نحن من تاورغاء ، ونعيش في ذلك المخيم القريب من هنا

ذلك المخيم ، سحقا للأيام .. قالها الطبيب بينه وبين نفسه

يكمل الرجل حديثه - بالأمس جاءت إحدى الميليشيات وقامت بأخذه .. بعد أن حققوا معه ولم يجدوا أنه متورط في أي شيء ، قاموا بربطه بحبل في السيارة ، وجره على ساحة معسكرهم والسيارة تجري .. و من ثم رموه في فناء المخيم وهو ينزف

لم يصدق الطبيب ما يسمعه .. يُسلخ إنسان وهو حي . أي وحشية هذه .. ساحة المعسكر إسمنتية ، وبها فناء ممتلئ بحجارة صغيرة

استمر الرجل الخمسيني في الحديث ، ولكن الطبيب لم يكن يسمعه ، توقف

دماغه وتخدرت حواسه .. طنين في الرأس ، وصداع مميت

في اليوم التالي ، وهو متجه إلى الغرفة التي يرتاح بها الأطباء ، شاهد فتاة سمراء تبكي أمام غرفة الشاب الذي أسعفه بالأمس .. لم يشغله الأمر كثيرا . فقد تعود على مثل هذه الأمور . فالموت والبكاء أيضا ، أشياء تصبح عادية عندما تكرر كثيرا أمامك

في الحجرة ، حيث يرتاح الأطباء تحادثه الممرضة فاطمة

- مسكينة هذه الفتاة .. إنها خطيبته

لم يعرف بماذا يرد . كل ما فعله هو أنه استمر في النظر والاستماع إلى فاطمة

تصور أنهما مخطوبان منذ 2009 .. كان مقررا زواجهما في نوفمبر 2011 ، ولكن للقدر أحكام أخرى

فكر بينه و بين نفسه .. منذ 2009 ، أي منذ أربع سنوات

انتقلت فاطمة للحديث عن موضوع آخر ، عن أطفالها وعن الحياة .. و عاد هو ينظر من خلال النافذة ، إلى ما وراء النافذة ، إلى ذلك المخيم

توطدت علاقة الطبيب أكثر بذلك الشاب ، الذي جاء قبل أيام وهو مصاب .. يزوره يوميا ، لتبادل الحديث وقضاء بعض الوقت

اسمه أحمد ، مهنته كهربائي وضحكته لا تغيب أبدا

خطيبته مرحة مثله ، اسمها صفية ، تصغره بعام .. متناغمان إلى حد يثير الذهول ، من يراهما يقسم أنهما يعيشان معا منذ عقود .. لا تمل من الطواف حوله .. إن احتاج شيئا ، تعرف ما هو من حركة جسده

في الحجرة حيث يقيم أحمد لتلقي العلاج .. يجلس الطبيب بجانبه على السرير ونظرهما باتجاه النافذة

تناولهم صفية كوبين من الشاي ، وتحادث أحمد

- سأذهب لأتمشى قليلا في الحديقة ، هل تريد شيئا آخر

- أن تطلي عليَ وأنت تبتسمين

تبتسم صفية ذَاتَ الابتسامة الرقيقة وتخرج

الطبيب - هل يمكنني أن أسألك

أحمد - تفضل أرجوك

- لماذا لا تتزوجان

يصمت أحمد قليلا

- بالتأكيد تعلم حجم البؤس الذي نعيشه في ذلك المخيم

- إلى حد ما

- على الرغم من الأوضاع المزرية للمخيم ، وكما تعلم أنني أشتغل كهربائي .. حالتي المادية جيدة ، يمكنني تأجير مسكن والانتقال إليه أنا و أمي و صفية

عندما سَأَلْتُ أمي عن الانتقال من المخيم ، رفضت الانتقال .. ولكنها ألحت علي للانتقال أنا و صفية كزوجين

لا تريد مفارقة جيرانها و أقربائها . كبار السن ، كالأشجار العظيمة ، كلما كبرت ازدادت قوة و ارتباطا بالمكان .

تعلو ضحكته ويستطرد . أمي شجرة عظيمة يغطي ظلها الجميع

لو رأيتها عندما كنا في تاورغاء ، تهتم بالكل . بوالدي و بي ، بخمسين شجرة ، بقرة ، عشرة أغنام ، و بضع دجاجات

كان أبي دائم المزاح معها ، مريم في رقبتك سبعون روحا

يصمت قليلا .. يعود للحديث مجددا - أبي لم يستطع مفارقة أرضه ، توفي بعد خروجنا بأسابيع .. كان يريد أن يُدفن في تاورغاء ، و لكن كما تعلم ...

على الرغم بكل ما مرت به ، تبقى دائما قوية

ابتسم .. فقد أصبحت صفية مرئية من خلال النافذة

يشع بريق من عينيه ويعود للحديث - هل جربت يوما أن تأكل التمر وهو رطب قبل أن يتم قطافه ، أي وهو في العرجون

- لا

- عليك أن تجرب ذلك .. عندما نعود سنفعل ذلك سويا أنا وأنت

- بإذن الله

و لكنك لم تجبني على سؤالي ، لماذا لا تتزوجان

- آه نسيت .. على الرغم من البؤس الذي نعيشه في المخيم .. معظم الليالي أقضيها برفقة صفية نشاهد النجوم .. يضحك مجددا . تصور لم يفتنا أي اكتمال للقمر

صفية مثل أمي تماما . لا تريد مفارقة أقربائها و أصدقاءها .. عندما نكون مع بعضنا وننهض ليذهب كل منا إلى مسكنه الصغير من الأنابيب البلاستيكية والصفيح لينام . عندما تلتفت لي قبل دخولها مودعة إياي بابتسامة ، حينها أنسى البؤس ، المخيم ، وكل شيء

على الرغم من أنها أحيانا تبيت وهي تبكي

- حبا بالله لماذا لا تجيبني بكلمتين

تعلو ضحكة أحمد مجددا و يهتز كامل جسده من شدة الضحك

- بيتنا الذي سنعيش فيه ينتظرنا ، مسألة وقت فقط .. هكذا نجيب أنا و صفية كل من يسألنا

سنعود قريبا ، و نعيش في بيتنا كزوجين وسط أرضنا وبين أشجار أبي .. ستأتي لتزورني ، و سأسمي ولدي الأول تيمنا بك " رضا

(( تاورغاء مدينة في غرب ليبيا ، تم تهجير جميع أهلها في العام 2011 ، و معظمهم يعيش في مخيمات داخل ليبيا ))

# أحلام 2

سار علي غير هَدْي حتى وجد نفسه أمام المقهى الذي جلس به هو و صديقه بالأمس حيث احتسى صديقه الجعة .

بالداخل يمكن للمرء احتساء المشروبات الكحولية ، ويمنع احتساءها بالخارج ، أي أمام المقهى على الطاولات المصطفة

جلس وطلب قهوة .. تمنى لو كانت معه جريدة ، فمن شدة غضبه لم يكن يريد النظر إلى المارة و إشغال عقله بهم

جلس يحتسي قهوته على مهل وهو يفكر ، كيف سيمضي ما تبقى من أيام برفقة أصدقائه الذين أتى معهم .. لقد نفذت كل طاقة لديه لمسايرتهم و الصبر ، هذه أسوأ رحلة سفر على الإطلاق

لاحظ أن الشخص الذي يجلس على الطاولة المجاورة لطاولته قد أنهى قراءة الجريدة التي معه

يخاطبه - من فضلك هل يمكنني أن أستعير الجريدة

- أجل بالطبع .. يمكنك أن تأخذها ، لقد أنهيت قراءتها ولم تعد لي حاجة بها

- شكرا لك

يهز الرجل رأسه بمعنى عفوا

يقلب صفحات الجريدة بحثا عن شيء يقرأه

- مساء الخير

يرفع رأسه وهو يرد التحية - مساء النور

تجلس على الكرسي المجاور له

أدركت من لهجته وهو يتحدث مع الرجل صاحب الجريدة ، أنه مثلها ليس من هذا البلد ، و أنه من البلد الذي يُعد شبابه من أهم الزبائن .

- هل تريد قضاء وقت لطيف

- لا شكرا

لا تكترث الفتاة لرده .. و تمد يدها لتضعها على فخذه

- شكرا لك لا أريد شيئا ، وقد كسى صوته بعض الغضب ، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه .. ويخرج من جيبه بعض المال ويمده لها

ترد الفتاة بغضب

- أنا أعمل ولا أتسول

و تنهض يكتنفها الغضب

- أعتذر

خرجت الكلمة من حنجرته مرتبكة ، وهي لم تلتفت له .. فكر في اللحاق بها والاعتذار عما بذر منه بلباقة ، ولكن خجله كان أكبر من شجاعته في تلك اللحظة

عاد مجددا للجريدة ، ولكن باله بقي معها . حاول أن يقرأ شيئا ، ولكنه لم يستطع . أغلق الجريدة و بدأ في النظر إلى المارة

يخرجه الصوت من شروده

- هل هنالك أحد من أصدقاءك يريد أن يقضي وقتا لطيفا ، ربما هنالك أحد برفقتك و يريد ذلك

ابتسم .. أدرك أن القدر معه

- أرجوك اجلسي

فَكَرَت في الذهاب ، فقد خمنت أنه سيقنعها بأخذ بعض المال مجددا ، و لكنها ترددت في المغادرة ، فحاجتها للمال كانت شديدة

- أرجوك أعذريني ، فلم يكن بنيتي التصدق عليك ، أردت فقط مساعدتك .

ماذا أطلب لكِ

- لا أريد شيئا . هل هنالك أحد تعرفه ويريد قضاء وقت لطيف

- في الحقيقة لا أعرف أي أحد .. و لكن ما أريده منك شيء آخر

مجددا فكرت في النهوض والمغادرة ، فما الذي سيطلبه منها . بالتأكيد شيء غريب

في مهنتها يكون بعض الزبائن عادة غريبي الأطوار و يأتون بأفعال غريبة . حيث أنه وصل الأمر أكثر من مرة ، أن قام أحدهم برمي الفتاة التي مارس معها البغاء من إحدى الطوابق العليا

لذلك كانت تخشاهم ، ولا تطلب شيئا من الله يتعلق بهذه المهنة ، إلا أن يجنبها أمثالهم

و لكن حاجتها للمال كانت شديدة .. الطعام يحتاج للمال ، والإيفاء بإيجار المسكن يحتاج للمال ، وقبل هذا وذاك ، العشرون دينارا عمولة القواد اليومية . الذي يتكفل بحمايتهن وتحصيل مالهن إن رفض الزبون الدفع

- ماذا تريد

- جئت إلى هنا برفقة أصدقائي ، ولا تتصورين كم أرهقتني رفقتهم ، و آخر شيء أستسيغه ، قضاء الوقت بمفردي . أريدك أن تقضي بقية اليوم معي

فكرت .. هذا النوع أعرفه . بعد أن يثمل يبدأ في سرد ما يزعجه ، عن

ظلم الدنيا له ، عمن خانوه ، من أهانوه ، عن عقده النفسية واضطراباته .

ما هذا اليوم

مجددا للمرة الثانية ، فكرت في النهوض والمغادرة. ولكن روحها قبل جسدها ، لم تطاوعها

- هل تشرب الكحوليات بنهم

- لا

- هل تتعاطى أي نوع من المخدرات

- لا . أنا لا أدخن حتى

فكرت في أن تسأله إن كان يعاني من أي مرض أو اضطراب نفسي ، و لكنها علمت أنه لا جدوى من سؤالها ، فبتأكيد ستكون إجابته النفي

- كم ستدفع لي

- في الحقيقة لا أملك الكثير من المال ، كم تريدين

- مئة دينار

- لو كان معي لما ترددت في إعطاءك . ولكن صدقيني مالي محدود

كان هنالك شيء يَجْذِبُ إليه ، كان لطيفا . غريبا ولطيفا

- حسنا سآخذ خمسون دينار

ابتسم - شكرا لك

- أرجوكِ ماذا أطلب لك ، سنصير رفقة . ويبتسم

هذه المرة صارت ابتسامته أكثر حرية

- قهوة

ينادي النادل ليطلب لها قهوة

النادل - تفضل

- قهوة وقطعة حلوى للسيدة

شَعَرَت ببعض الراحة

أحضر النادل القهوة ، وقطعة الحلوى

- أي شيء آخر

هي - لا .. شكرا لك

فتح الجريدة مجددا وهو فرح . الآن ، يمكنه أن يقرأ

تناولت قطعة الحلوى و احتست القهوة على مهل ، فلم يكن هنالك شيء وراءها ، وهو منشغل في الجريدة يقرأ

فكرت في كل ما مرت به .. و كيف سيمر باقي اليوم

ما الذي تخشاه ، وهي التي تنام مع غرباء لا تعرفهم وتذهب معهم حيث يطلبون . و لكن قلبها أخبرها الدعاء وسؤال الله

أنهى قراءة الجريدة ، وجدها قد أنهت بدورها تناول القهوة . تلتفت يمينا و يسارا ، و أحيانا تنظر إليه .. كانت الساعة تقارب الخامسة والنصف

بادر بالحديث

- من المفترض أن أذهب اليوم لقبر الولي الصالح سيدي ....

شهقت شهقة غبطة

- كم أحبه ، هل أنت صوفي

- مِن محبيهم

- كم أحبه ، كلما تملكني الحزن أزوره

تَذَكَّر إحدى القصص التي يحبها .. قصة ميمونة

- هل تعرفين قصة ميمونة

- أذكر أن جدتي حدثتني عنها و أنا صغيرة ، ولكنني لا أذكرها

- سأحكيها لك

يحكى أنه ، كانت هنالك امرأة عابدة ، تعيش على شاطئ البحر ..اسمها ميمونة

كانت عندما تصلي بعد أن تُكَبِّر وتشرع في الصلاة تقول ، ميمونة تعرف الله ، والله يعرف ميمونة . لا تقرأ أي شيء من القرآن . فقط تقول هذا

ذات يوم مر رجل بها ، كان عابرا .. وجدها تصلي وتَذْكُرُ ما قلت . ميمونة تعرف الله ، والله يعرف ميمونة

أخبرها أن الصلاة ليست هكذا ، وأن عليها أن تقرأ الفاتحة وبعض الآيات .

طلبت منه أن يعلمها بعض القرآن

و فعل الرجل ما طلبت

و حين جاء موعد إكماله سفره ، ركب قاربا ، وَدَّع ميمونة و انطلق

طرحت ميمونة سجادة الصلاة وشرعت تصلي .. ولكنها نسيت ما حفظته من القرآن

لم يكن الرجل قد ابتعد كثيرا عن الشاطئ .. انطلقت ميمونة تجري لإيقافه ، لكي يعيد تحفيظها .

ذهل الرجل مما يراه ، فقد كانت تجري على سطح الماء حتى وصلت إليه ، وطلبت منه أن يعيد تحفيظها ، فقد نسيت ما حفظته . ووسط ذهول الرجل مما شاهده ، قال لها عودي وصلي كما كنت تصلين ، فأنت أقرب لله منا جميعا

- ما أجمل قصتها

أتمنى لو يحبني الله ، عشر ما أحبها . و لكن من أين لي أن أطمع في ذلك و أنا ...

توقفت قبل أن تخرج الكلمة منها ، شيء دفعها للتوقف . كان الخجل

يتكلم هو - هل سببتِ يوما أذى كبيرا لأي إنسان

- لا

- هل قطعت يوما رزق إنسان

- لا

- هل سرقت يوما حاجة إنسان آخر

- لا

- إذاً.. معظم أخطاءك في حق نفسك .. وهذه أيسر الأخطاء التي يغفرها الله

أولم يقل ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) صدق الله العظيم

أسرفوا على أنفسهم ، أي أخطئوا في حق أنفسهم . عليك أن ترتاحي ، لأنه لن يشكوكِ إنسان لله

تبتسم - شكرا لك

يبتسم - أشكري ميمونة

يصمت قليلا .. ومن ثم يرجع للكلام - أعلم أنك تريدين أن ترتاحي و تتركي هذا العمل ، و أنا مثلك أتمنى هذا من كل قلبي

و لكن لن ينتهي .. مجددا يصمت قليلا بدافع الخجل و خوفا من أن يجرح مشاعرها ، و لكنه يستجمع أفكاره و يكمل - أعذريني على كلماتي أرجوك

و لكن البغاء لن ينتهي مادام هنالك من يدفع المال من أجله . و أرجوك سامحيني على ما قلت

- لا عليك ، أرجوك لا تعذر فمعك حق .. لو جُمِع كل هذا المال و أُعْطِيَ لمن يحتاجه ، لتغير الكثير

مجددا يصمت ، فقد اعترى قلبه بعض الغصة . بدورها انتقلت هذه الغصة إلى صوته

- جميعنا يا .. صحيح ما اسمك

- اسمي أحلام

- و أنا حسن

كانت هذه أول مرة تخبر أحدا ممن تقابلهم أول مرة باسمها الحقيقي .. فمنذ سنوات مضت ، أصبح اسمها سونيا . ولا يناديها باسم أحلام إلا القلة الذين يعرفونه ، والذين تحبهم

- كما قلت يا أحلام .. جميعنا نحمل أوزار الكثيرين ممن تدفعهم الحياة لكي يخطئوا

فكل من يسرق بدافع الجوع ، وكل من تبيع جسدها ، نحن مسئولون عن ذلك ، بدرجة ما . وينظر في الأفق يفكر

ينظر إليها - هل نذهب الآن

- و لكن ملابسي لا تناسب الذهاب

- سنشتري قميصا آخر

ينزلان من سيارة الأجرة ، ويصعدان السلالم المؤدية للضريح والمسجد الصغير المقابل له ، حجم المسجد صغير فهو في الحقيقة غرفة ربما بطول خمسة أمتار وعرض أربعة ، ولكنه يحتوي علي منبر عال ومحراب

لطالما حيرته القدسية التي يحتوي عليها هذا المسجد ، فالنور يملئه و السكينة فيه مختلفة

يدخل هو للمسجد لكي يصلي ، وتدخل هي للضريح

ينهي صلاته ويخرج باتجاه الضريح .. الضريح يتوسط حجرة صغيرة ، تسبق الحجرة سقيفة أصغر . بجانب حجرة الضريح حجرة أكبر من حجرة الضريح ومن المسجد مجتمعين ، تحتوي علي بعض الكراسي والفرش لاستقبال الزائرين

الضريح بارز إلى أعلى ، تصعد من زواياه الأربعة أعمدة من خشب تنتهي بسقف خشبي ، الثريا المعلقة جميلة ، و إنارتها أقرب للنور منها للإضاءة

أحلام جالسة ، وتحرك شفتيها ، لم يكن واضحا إن كانت تقرأ القرآن أو تدعوا ، أو تتحدث مع الولي الصالح الراقد في القبر

توقف للحظات قبل الدخول يتأملها ، فالنور الساقط من الثريا ، والسكينة المنتشرة في الهواء ، كأنهما خلفية وجدتا لتبرزا جمالها الهادئ

متوسطة الطول ، شعرها أصفر . كثر هنا النساء اللواتي يصبغن شعورهن باللون الأصفر . كان كل شيء فيها مريحا للعين ، قوامها وحركتها

سَلَّمَ ودخل ، رفعت رأسها - حتى عيناها العسليتان جميلتان . و انكب يقرأ القرآن

بعد أَن انتهى ، نظر إليها بمعنى هل نخرج . فهمته وقامت ليخرجا .. وضعا بعض المال في صندوق الصدقات ، أخبرتهم السيدة التي تجلس دائما في السقيفة ، بأن زيارتهم مقبولة إن شاء الله . شكراها وخرجا

في الخارج توقفا لتناول الكعك المغلف بالسكر

- طعمه لذيذ جدا

- أجل

- هل يمكنني أن أسألك

- بالطبع

- هل طلبت شيئا عندما كنا بالداخل

- هذه المرة لا . شكرت الولي الصالح فقط .. في المرة السابقة أجل طلبت

- و هل تحقق ما سألت الله

- أجل

فكرت أن تسأله ما هو ، ولكنها تراجعت

- أنا أيضا لطالما سألت الله شيئا ، وها قد تحقق .. سألته أن يرسل لي صديقاً ورفيق . وقد استجاب لي ، أرسلك أنت .

تمر لحظات صمت وخجل

يبتسم و يتحدث

- دعينا نذهب إلى حيث البحر ، ستغرب الشمس قريبا

حيث المنحدر الأخضر جلسا ، على يمينهما قليلا الميناء الصغير ، و أمامهما هذا الامتداد الأزرق الجميل

أخذت رشفة من كوب الشاي الأخضر .. كلاهما يشربان نفس الكوب . فعندما ذهب ليحضر شاياً ، سألها إن كانت ترغب ببعض الشاي أَجابته لا أريد ، أحضر كوبا واحداً وسآخذ بعض الرشفات

كان الأفق أمامهما جميلا ، جزيرة صغيرة أمامهما ، لا تبعد كثيرا عن الشاطئ ، لا يعرف اسمها ، لم يسأل عنه ، وحتى الآن وهو يفكر في ذلك لم تحركه رغبة ليسأل

مالت أحلام للخلف حتى أصبحت ممددة على ظهرها ونظرها للسماء

- النظر للسماء أسهل من النظر إلى البحر . البحر دائما يغري بالسفر

أتعلم بماذا أحلم

- بماذا

- بالعيش في الهند

أريد العيش هناك ولو لمدة .. لعدة أسباب

أولها فرق العملة بيننا وبينهم ، مما سيمكنني من العيش براحة مدة جيدة إن وصلت إلى تجميع المبلغ الذي أسعى إليه . والثاني أنني لن أشعر بملل كبير هناك ، وربما لن أشعر به أبدا

سوف أقضي أيامي بين المهرجانات والأعياد . سأحتفل بأعياد المسلمين والهندوس والمسيح

بالتأكيد تعرف العيد الذي يرش فيه الهنود الألوان على بعضهم البعض

- أجل

- يدعى عيد هولي ، عيد الربيع . يحتفل به لقدوم الربيع و لطرد الأرواح الشريرة .. سأشتري عشرات الأكياس من الألوان .

حتى الفيلة يتم تلوينها وتزيينها

و في عيد الهلوين ، سأملئ جيوبي بالسكاكر والحلوى و أجوب الشوارع بحثا عن الأطفال

أه وبالتأكيد سأنتظر بلهفة عيد ديوالي ، عيد الأنوار . يحتفل به في الخريف ويستمر لخمسة أيام . يحتفل في يومه الرابع بالألعاب النارية وإضاءة الشموع في البيوت والشوارع . لن أشعل شمعة واحدة ، سأشعل شمعة لكل من أحب

سأرمي الطعام للقردة التي تتجول في الشوارع بحرية ، وإذا ما تمادى قرد

في وقاحته ، سأضربه . وتضحك

سأزور تاج محل ، وجميع المعابد ، حتى الغريبة منها ، وبالتأكيد سأمارس اليوغا مع الجموع في الهواء الطلق .. ربما سأسبح في نهر الغانج إن وجدت المياه نظيفة

أريد العيش هناك أنا و ابني و ابنتي عندما أرزق بهم . أحلم ببيت صغير يجمعنا

و التفت باتجاهه وهي مبتسمة وأخذت تتأمله .. تملكها شعور قوي في القول له ما رأيك في أن تمنحني أحدهما ، إحدى طفلي

انتابه الفضول لابتسامتها و إطالة نظرها إليه وهي صامتة

- بماذا تفكرين

- كنت أفكر . إن كان مقدرا لي أن أنجب أطفالا ، فإنني أريدهم يشبهونك أنت و أمي

ابتسم - أتمنى أن يكونوا أفضل مني

- أريدهم مثلك أنت و أمي ، لا دخل لك إنهم أطفالي وتضحك . ضحكة يتخللها بعض الحزن

مجددا تنظر إلى السماء

- هل تعلم أن أمي كانت دائما تقسم أني سأقوم بما لم تستطع القيام هي به . حفظ القرآن

كانت دائما تقول للجيران والأقارب . أقسم أن أحلام ستفعل ما لم أستطع القيام به ، ستحفظ القرآن كاملا .

تصمت قليلا وتعود للكلام مجددا - لقد كانت دائما تقول لي ، أن ملاكا قد رسمني في بطنها . فقد رأت في المنام أن ملاكا دخل إلى رحمها وقام برسم فتاة بداخله ، وبعد أيام قليلة علمت بأنها حبلى بي

كم أتمنى تحقيق أمنيتها . عندما كنت صغيرة وصلت أن حفظت ثلثه ، و لكن عندما تُوفيت ، حاولت أن أكمل ولكنني لم أستطع

من الصعب أن تعيش فتاة بمفردها في هذه الحياة

تتنهد

- لا يمكن أن أصف لك شوقي لها . كلما اقتربت الحياة من أن تكسرني ، أناديها . فتأتي دائما بثوب مزين بأزهار . ليس نفس الثوب ، كل مرة بثوب مختلف ، ولكن جميعها بلون أبيض مشرق مرسوم عليه أزهار ، أحيانا صغيرة ، أحيانا متوسطة ، وأحيانا كبيرة

تجلس ، وأجلس أمامها تسرح شعري . أشتكي لها ، فتستمع لي وهي تبتسم . بعد أن تنهي تسريح شعري ، تأخذ رأسي بيدها وتجذبني لأستلقي عليها ، أستمر في الشكوى وهي تمسد على شعري وعلى شفتيها نفس الابتسامة . أمد شفتي أريد تقبيلها دونما أن أرفع رأسي ، فتنحني وتقبل شفتي ، و بعدها يغلبني النوم . أستيقظ و قلبي دافئ

تنظر إليه .. لا تقل أنني هشة ، وتبتسم

لا أذكر أبي ، فقد توفي و أنا صغيرة ، ربما عمري عامين

رفضت أمي الزواج بعده ، كانت كل عالمي ، وكنت كل عالمها . اسمها سكينة

تمنت لو كانت معها صورتها حينها ، لتريه إياها

- لقد كانت جميلة .

مجددا تصمت للحظات ومن ثم تكمل حديثها . عندما يرحل من تحب ، ولم تشبع منه ، فإن ذلك يترك جرحا في الروح لا يلتئم

أرجوك أعذرني . فبالتأكيد أصبتك بالضجر ، من سرد ذكرياتي

- على الإطلاق يا أحلام . لكل منا نصيبه من الأحزان والآلام

- لم أقل لأحد معظم ما قلته لك . الروح تحب التحدث معك .. تبتسم و تستطرد في الحديث

يجب أن تزورني في الهند

- إن شاء الله . وبالتأكيد ستحققين حلمك الآخر وتحققين أمنية والدتك ، و تحفظين القرآن

- شكرا لك

- أريد تناول الطعام .. هل نذهب

- أعذرني لا أتناول الطعام في الليل

لم تكن تريد تكليفه المزيد من المال

بعد انقضاء المساء ومشارفة اليوم على نهايته ، طلبت منه مرافقتها للبيت .

أخذا كل المسافة مشيا على الأقدام

- هذا هو المسكن حيث أعيش

هز برأسه ، بمعنى حسنا

أدخل يده في جيبه ليخرج مالا . تمسك يده قبل أن يخرجها من جيبه

- شكرا لك .. لا مال يوازي الوقت الذي قضيناه معا

مجددا يبتسم ، دونما أن ينطق بكلمة

تمر لحظات صمت .. هل نلتقي غدا ، قالاها معا في نفس اللحظة

هو - كنت مستحياً أن أطلب ذلك

- و أنا مثلك تماما

- غدا سنتناول الطعام في بيتي .. سأطبخ ، و سأريك صورة والدتي

- حسنا نلتقي غدا يا أحلام

حضنته - شكرا لك

- بل الشكر لك يا ملاك

قبلته على خده و اتجهت إلى بيتها

ذهب هو أيضا عائدا للذين أتى معهم ، من يشعر بالرضا لأنه لن يقضي باقي أيام الرحلة برفقتهم

تناديه - يا حسن

يلتفت

- منذ اليوم ، توقفت عن هذه المهنة

يلوح لها بيده وقلبه مبتسم

*  *

اليوم التالي

كانت الساعة تقارب الحادية عشر صباحا عندما رن هاتفه .. يرد

- ألو

- مساء الخير

- مساء النور . ويكتسي صوته بالفرح

أحلام .. كيف حالك

- بخير ، وأنت

- سعيد لسماع صوتك

مرت لحظات صمت ، قبل أن تتكلم أحلام

- اتصلت لأسألك .. هل تحب السمك

- أجل

- حسنا . أردت أن اسألك ، فلا أريد إعداد شيء لا تحبه

مجددا لحظات صمت

- حسنا سأذهب الآن لأشتري السمك

تلقف حسن جملتها كأنه شيء كان ينتظره . نعم كان ينتظر شيئا كهذا دون أن يعيى ذلك

- من أين ستشترينه

- من السوق المركزية

- هل يمكنني مرافقتك

- بكل تأكيد .. يسعدني ذلك . نلتقي هناك بعد نصف ساعة

- إن شاء الله .. سلام

- سلام

أمام السوق وجد أحلام مرتدية نفس القميص الذي اشترياه بالأمس ، وفي يدها حافظة صغيرة ، يحفظ فيها السمك عادة

قبلته على وجنتيه ، فهنا في هذا البلد ، يسلم الناس على الأقرباء والأصدقاء والأحباء بتقبيل الوجنتين

اشترت السمك وبعض الخضروات والفواكه ، حاول دفع الثمن ولكنها اعترضت قائلة ، حينها لن تكون عزومة

وضعت السمك في الحافظة التي تحملها وحمل هو باقي الأغراض

خارج السوق سألته - هل نتمشى ، أرغب بالمشي

- حسنا

- غريبة هذه الحياة ، بالأمس تكون على حال ، وفي يوم تنقلب إلى حال آخر

- أجل .. نسأل الله أن يكون التغيير دائما للأفضل

- أحيانا أفكر ، هل حياتنا ملكنا أم أن إرادة الآخرين ، الله وبعض البشر هي التي تُسيّرها

فكر للحظات

- هي كل ذلك يا أحلام . أفعال نفعلها بملء ارادتنا ، و أفعال تفرض علينا ، دروب نختارها ، ودروب تختارنا . حياتنا نشترك في صناعتها نحن و إرادة الله ، القريبون والبعيدون ، الأرواح ، والهواء ، والطبيعة

فكرت في روح أمها ، و أنها تحميها وتساندها ، و أن لقاءها به جعل قلبها يميل للتوقف عن العمل كبائعة هوى بدون أن تخشى العواقب مما جعل ابتسامة ترتسم على شفتيها

- معك حق يا رفيقي

- الحياة كما القدر يا أحلام . نص كتبه الله ، و أعطانا الحرية لنكتب بعض فقراته

سارا حتى وصلا إلى محطة قطار

- أرجوك فلنجلس هنا ، أحب الجلوس بمحطات القطارات

جلسا على أحد الكراسي . لم تكن المحطة مزدحمة ، بعض الركاب ينتظرون ، وفتى وفتاة يبيعان الأزهار . ما إن رآهما الفتى والفتاة حتى اتجها ناحيتهما مسرعين

متقاربان في العمر ، بين الثانية عشر والثالثة عشر ، و إن كان الفتى يبدو أكبر بقليل ، نحيلان ولكن مَوْفرا الصحة والاتقاد بالنشاط

كان الفتى أسمر بلون برونزي جميل ، شعره قصير ، ويرتدي ثيابا قديمة بهتت ألوانها . والفتاة ترتدي قميصا بنصف كم ، وتنورة واسعة تصل إلى الركبتين لونها بنفسجي فاتح . ثيابها أيضا قديمة بهتت ألوانها ، عيناها و شعرها بلون بني فاتح ، و ابتسامتها تجعل المرء يدرك إبداع الله و اتقانه في الصنع

- يا عمي اشتري مني وردة لحبيبتك

تكلم الفتى

ابتسم حسن وأحلام ، وأخرج من جيبه نقود . اشترى من الفتى زهرة ومن الفتاة زهرة

ابتسمت الفتاة الصغيرة وشكرته ، فهو لم يكن مضطرا ليشتري من كليهما

سألتهما أحلام - هل أنتما أخوان

يرد الفتى - لا . نحن نسكن بالقرب من بعضنا ، أمها صديقة أمي ، و ووالدها صديق والدي ، ندرس في نفس المدرسة ، إنها خطيبتي . و يضحك

تنظر الفتاة إلى الأرض خجلا

- أتمنى ألا تفرقكما الحياة ، و أن تعيشا مع بعضكما البعض في سعادة

ترد الفتاة - شكرا لكِ

و يعود كلاهما إلى حيث كانا بانتظار الزبائن

تمر سيدة ترتدي ثيابا فاخرة تتمشى وبرفقتها كلبها الصغير على رصيف المشاة المحاذي للمحطة . راقبتها الفتاة الصغيرة بكثير من الاعجاب .. أدرك الفتى أنها تحلم بمثل ذلك

قفز على الكرسي و قال بصوت عالٍ للفتاة كأنه يريد الدنيا أن تسمعه ، غدا . أقسم أنني سأجلب لك كل ما تحلمين به ، صحيح أننا اليوم نبيع الورود و الأزهار ، ولكن غدا سنزين بهما حديقة منزلنا . أقسم بذلك يا نرجس

تبتسم الفتاة وتشع عيناها أيضا بابتسامة . وكذلك كل الموجودين بالمحطة

يتوقف القطار ، تتكلم الفتاة الصغيرة - هيا فلنذهب . و اتجها ناحية الركاب النازلين

أحلام - فليحفظهما الله ما أجملهما

ينزل ركاب ويصعد آخرون . ومن بين النازلين رجل يرتدي زي رجال الدين

جلس على أول مكان وجده شاغرا ، بجانب أحلام وحسن . حسن يجلس على يمين أحلام والرجل على يسارها

لم تمضي دقائق حتى عادت المحطة كما كانت ، خالية إلا من عدد قليل من الركاب

أمسكت أحلام بيد حسن و بادرت بسؤال الرجل الذي جلس بجانبهما

- سيدي الشيخ

- نعم يا أختي

- هل يمكن أن أحفظ القرآن و أنا في هذا العمر . أم أن الأمر صعب

- لماذا تريدين حفظه

- لا أعلم حقيقة . لطالما كانت أمنية أمي أن أحفظه ، دائما كانت تقسم بأنني سأقوم بذلك

- و أنتِ

- أحبه كثيرا ، أنه في قلبي ، أحيانا تمر شهور دونما أن أفتح مصحفا ، و لكنني أشعر دائما أنه بداخلي . يسري بداخلي

- ستحفظينه . و أخذ يتأملها لما يقارب الدقيقة

ليس المهم أن تحفظيه ، بقدر ما أن تدركيه . إنك موسومة أن تدركيه

- ماذا تقصد سيدي الشيخ

- مقدر لك أن تدركيه معنا ورمزا وحكمة . قسم أمك كان مبنياً على شعور يملئ قلبها ، كانت تقسم بما تحسه

عادت لها ذكرى رؤيا أمها قبل أن تعلم بأنها حبلى بها

مجددا أخذ يتأملها ، و أكمل

- داخل كل قلب بذرة ، إن توفرت لها ظروف النمو ستنمو . إن كانت بذرة خير ، ما إن تتوفر لها الظروف حتى تنمو وتزهر ، و إن كانت بذرة شر ، فإن صاحبها سيقوم بالشر

تمر لحظات تأمل . كلٌ يفكر فيما قاله الشيخ

تتكلم أحلام - هل يمكن أن تدلني على مكان جيد

- سأتكفل بذلك

و يتوجه بالكلام لحسن - أنت أيضا مقدر لك أن تحفظه و تدركه

تتكلم أحلام - أحقا يا سيدي الشيخ

- اسمي عبد السلام الأسمر ، قولي لي يا شيخ عبد السلام ، إن لم تريدي أن تخاطبيني باسمي مباشرة ، ولكن لا تقولي لي سيدي الشيخ .. أجل مقدر له ذلك

حسن - إن شاء الله

يتكلم الشيخ مجددا

- إن الله ألقى نوره في العقل ، و أسراره في الكون والقرآن . والبصيرة في القلب . و أنتما عقولكما نيرة و قلوبكما حرة . يجب أن تجتهدا في التأمل

أخرج من جيبه ورقة مكتوب عليها عنوان و أعطاها لأحلام

- سأنتظرك في هذا العنوان غدا بعد صلاة العصر إن شاء الله

- إن شاء الله

و ينهض ليذهب ، لم يكن ينتظر القطار ، فهذه آخر محطة

يخاطب أحلام

- عليكِ أن تنسي ما مضى ..عندما يحبك الله ، فإنه يضعك في أجمل مكان في هذا الكون ، في قلب من تحبه ويحبك ، عندها تنال الجنة والخلود والأبدية . و أنتما مكرمان بالحب

و يكمل طريقه

# دفتر تلوين

- دفتر تلوين جميل .. من أحضره لك

- أمي

وتتجه إليه ودفتر التلوين في حضنها تغمره بكلتا يديها .. في الخامسة من عمرها

تجلس أمامه وتفتح دفترها

- هل يمكنني مساعدتك

تهز رأسها بمعنى أجل ، وهي تقلب صفحات الدفتر كأنها تبحث عن رسمة معينة لغرض تلوينها.

اختارت رسمة لفتاة ترتدي قميصا مرسوم عليه قلب كبير

- هل سنلون هذه الرسمة

- أجل

- بماذا سنبدأ

- سنبدأ بالقلب

يخرج اللون الأحمر من علبة الألوان

- ما الذي ستفعله

- سأبدأ بتلوين القلب

- و لكن لن ألونه بالأحمر

- بأي لون إذا

- أريد تلوينه بالأخضر

- و لكن القلب لونه أحمر

- لا . القلب لونه أخضر .. كيف لا تعرف أن القلب لونه أخضر

و تباشر في تلوين القلب باللون الأخضر

- ماذا سألون أنا

- لون الشعر باللون الأحمر

تمر لحظات و هما منهمكان في التلوين

تتكلم فرح .. الفتاة الصغيرة اسمها فرح

- أريد أن أقدم هذه الرسمة هدية لصديقتي قمر . لقد أهدتني دمية ، هي صنعتها بنفسها

انتظر سأريك إياها

وتذهب لتحضر الدمية

- ما أجملها ، إنها تشبهك . فستانها نفس فستانك الأحمر ، و شعرها كستنائي مثل شعرك

و هي تبتسم - أجل .. قمر قالت أن هذه الدمية أنا

شد انتباهه بقعة حمراء على الدمية . ولاحظت فرح انشغاله بالبقعة الحمراء ، و ببراءة الأطفال أجابته عن السؤال الذي كان يدور في ذهنه ولم يسأله

- إنها بقعة دم .. دم قمر .. إنها تصنع الدمى مع أمها ، بغرض بيعها . و أحيانا كثيرة تتعرض لوخز الإبر ، عندما تخيط

*  *

- بماذا سنلون العينين

- أريد تلوينها بلون الماء ، وبما أنه لا يوجد لون كلون الماء ، سنبحث عن أقرب لون للون الماء.

تصمت للحظات ، وتعود للحديث مجددا

- لماذا لا يوجد لون كلون الماء

- ولكن ليس للماء لون

تتحدث بجدية العارف والمدرك

- أنت لا تعرف أي شيء عن الألوان . للماء لون ، وهو حي أكثر من جميع الألوان الأخرى . يجب أن يوجد لون شفاف وبه بريق ، مثل بريق انعكاس النور على سطح الماء ، عيناَ قمر هكذا لونهما

خمن أن لون عيني قمر ، قريب من لون الماء أزرق

- هل لون عينيْ قمر أزرق

- لا . لون عينيها بني

- حسنا لماذا لا تلونين العينين بالبني

- أنا أيضا سألونهما بالبني . ولكن عينا قمر شفافتان وصافيتان ، ولو كان هناك لون كلون الماء ، للونت به العينين

بعد لحظات

- حسنا الآن انتهينا .. ما رأيك

- جميلة . كجمالك ، وجمال صديقتك قمر

# تاتسو

- علينا أن نفعل شيئا و إلا مات

- من هو هذا الرجل ، ولماذا تهتم لأمره

- ساعدني الآن ، و نتكلم لاحقا

- يحتاج إلى الحرارة ، يكاد دمه يتجمد

- أعرف ، لهذا أريد مساعدتك ، لا أعرف ماذا أفعل

- نحتاج إلى نار . فلنذهب إلى سيد النار

- لن يهتم ، و على الأغلب لن يقبل بأن يشعل لنا بعض النار

- علينا أن نجرب ، لا حل آخر ، إما هذا ، أو سيموت

ذهبا حتى وصلا أمام كهف يعلو الأرض بأمتار ، و أخذا يناديا يا تاتسو .

خرج ووقف عند فتحة كهفه ، مستطلعا من يناديه

ما إن رأياه ، وحتى قبل أن يسألهما ماذا يريدان ، بادراه بالطلب . تاتسو نريد أن تشعل لنا نارا

تاتسو قرد شمبانزي ، جاء إلى الغابة قبل سنوات برفقة فريق من العلماء ، كان قردا أنيسا يعامله أفراد الفريق كفرد من جماعتهم ، أو من عائلتهم ، لم يكن يعيش في قفص ، بل حر طليق له حرية الحركة والتنقل ، و يمتلك فراشه الخاص حيث ينام ، ذكي للغاية ، و مفتون بالنار .

ذات يوم لمح أنثى شمبانزي بالقرب من المخيم ، قادها الفضول إلى حيث هم . رأى تاتسو العديد من إناث الشمبانزي من قبل ، ولكن هذه كانت مختلفة .

تأثر تاتسو بها كثيرا و أصبح كلا منهما يراقب الآخر من بعيد ، يقضيان ساعات ينظر كلا منهما للآخر . ولأن تاتسو تربى مع البشر ، ولا يحتك بقرود الشمبانزي إلا ما ندر ، فلم يكن يستخدم لغة القرود إلا قليلا ، يغلب عليه الصمت والتعبير بعينيه و قسمات وجهه ، هكذا كان يتفاعل مع البشر الذين تربى بينهم . قرد بكثير من طباع البشر هذا ما كان عليه

بعد انقضاء أيام ، أخذ تاتسو المبادرة ، و بتأثير من العاطفة والفضول ، تجاوز نطاق المخيم ، و اتجه إلى أنثى الشمبانزي وصعد الشجرة حيث هي موجودة . مد يده ليصافحها ، فمنذ أن كان صغيرا ، تعلم أن يمد يده مصافحا لكل بشري يقترب منه ، و كان من يصافحه من البشر يضحك و يهلل ، فتعلم أن هذا يبهج الآخرين .

نظرت إليه أنثى الشمبانزي باستغراب ، شعرت باضطراب ، ورجعت خطوة للخلف . لم يستوعب تاتسو لماذا لم تصافحه . رد يده وجلس

أخذ كلا منهما ينظر للأخر للحظات ، تاتسو جالس في مكانه ، وهي حيث تراجعت . اقتربت الأنثى و جلست بجانبه ، مدت يدها لتلمسه ، مد تاتسو يده ظنا منه أنها تريد مصافحته ، التقت أيديهما ، فابتسم تاتسو ابتسامته المعهودة التي يصنعها في وجه البشر عند المصافحة سالًا منهم الضحكات .

مدت يدها مجددا لتلمسه ، مد تاتسو يده ظنا أنها تريد أن تصافحه مجددا ، التقت أيديهما ، و ابتسم تاتسو مجددا ولكن هذه المرة ابتسامة أكبر . جلست بجانبه ، وبعد عدة مداعبات ، أصبح كلا منهما يألف الأخر و يلازمه .

لاحظ فريق العلماء ، جلوس تاتسو على الشجرة القريبة مع قرد آخر ، خمنوا أنها أنثى ، و قاموا بالتقاط الصور لهما في جو من المرح . نادوا على تاتسو ليتناول طعامه ، نظر إلى الأنثى بجانبه للحظات ، ومن ثم اتجه للمخيم .. أخذ ما في صحنه ورجع مباشرة إلى الشجرة والأنثى . كانت هذه أول مرة يأخذ طعامه ولا يتناوله وهو جالس على صحنه ، مما دفع بفريق العلماء إلى الضحك .. ناول الأنثى ثمرة و أخذا يتناولان الطعام

قضى تاتسو يومه هو والأنثى على الشجرة حتى حل المغيب ، ناداه فريق العلماء ، حاول أن يقنع الأنثى بالذهاب معه ، ولكنها لم تتحرك إلا خطوة للأمام ومن توقفت .

عندما أدرك تاتسو أنها لا تريد ، عاد إلى المخيم بخطوات ثقيلة وبطيئة .

ظلت الأنثى لبعض الوقت تراقب تاتسو من بعيد ، ومن ثم غادرت

عادت في اليوم التالي و جلست على الشجرة ، وما إن رآها تاتسو حتى ذهب إليها مسرعا ، و في يده بعض الثمار . ما إن وصل إليها حتى مدت يدها لتصافحه ، تصافحا و أطلقت صيحات تدل على الابتهاج ، وهو ابتسم ابتسامته المعهودة ، و من ثم صاح كما صاحت

أصبحا لا يفترقان طوال فترة النهار . و ذات يوم ، عندما نادى فريق العلماء على تاتسو عند اقتراب المغيب ليرجع ، نظر مطولا للمخيم ومن ثم غادر مع الأنثى باتجاه الغابة . استقرا في كهف ، هو نفس الكهف الذي يعيش به الآن ، و أخذ يتردد على المخيم ليقضي الوقت فيه برفقة فريق العلماء ، و عندما يحين موعد الغروب يغادر مع أنثاه الذي تجلس على الشجرة بانتظاره

ظن العلماء أنه سرعان ما سيعود إلى المخيم بعد انقضاء فترة التزاوج ، و لكنه لم يعد ليستقر معهم .

حينما حان وقت مغادرتهم ، ذهبوا بحثا عنه ، بين مجموعة الشمبانزي في الغابة ولكنهم لم يجدوه ، عادوا للمخيم فوجدوه يجلس على أحد الكراسي ، و أنثاه على الشجرة ، قضى الوقت معهم ، و عندما حان وقت الغروب غادر . لحقوا بهما فوجدوه يعيش مع أنثاه في كهف ، بمعزل عن مجموعة القرود

عندما أدرك فريق العلماء أن تاتسو قد استقر ، و يبدو أنه لن يعود معهم ، تركوا له العديد من السكاكر التي يحبها والعسل و غادروا .

افتتان تاتسو بالنار لم يتغير ، كان يحب الجلوس على مسافة آمنة منها و مشاهدة ألسنة اللهب لوقت طويل . أدرك من خلال مشاهدته للعلماء عندما يريدون إشعال النار ولا تشتعل ، سكبهم بعض السائل على الأخشاب الندية ، فتشتعل النار مباشرة ، كان يعرف استعمال القداحة ، فإحدى الحيل التي كان يتقنها إشعال سيجارة لمن يطلب منه ذلك

نجح في أخذ بعض القناني التي تحتوي على البنزين و قداحة عندما كان فريق العلماء مشغولا وخبأها في الكهف . و ذات يوم قام بجمع بعض الأخشاب ووضعها فوق بعضها ، رش بعض السائل عليها ، كما رأى أكثر من مرة ، وقام بواسطة القداحة بتقريب شعلة النار من الأخشاب ، فاشتعلت النار . علا صراخه بفعل الإثارة ، وتملك أنثاه الهلع ، ولكنه قام سريعا بطمأنتها ، و أجلسها بجانبه على مسافة آمنة من النار ، و أخذا يشاهدان ألسنة اللهب تتراقص

أصبح مشهورا بين الحيوانات الأخرى بسيد النار ، أصبح مُهابا ، محترما من الجميع ، وصاحب مكانة خاصة

نظر إلى طائريْ البوم ، اللذان يقفان أمام الكهف وعاد إلى داخل كهفه

تكلم أحدهما بسرعة - هنالك إنسي سقط مغما عليه في العراء لوحده ، ولم نجد إنسيا آخر على مقربة منه ، والهواء بارد جدا كما ترى ، و نتف الثلج

بدأت في السقوط ، نخاف أن يبرد دمه فيموت

ما إن سمع تاتسو ذلك حتى توقف ، عاطفته للبشر كفيلة لجعله يفعل أي شيء

- أين هو الآن

- سنأخذك إليه

أخذ تاتسو القداحة ، وزجاجة بنزين وغادر مسرعا

الإنسي شاب في الخامسة والعشرين من عمره ، يعيش حياة مستقرة ، مهنة جيدة براتب جيد ، ومسكن خاص يملكه . غادر في رحلة سياحية ، ودع صديقته على عتاب منها لأنه يسافر بدونها ، وعدها أنه سيعوضها بأن يسافران معا إلى الوجهة التي تحب عندما يتزوجان .

عندما عاد ، لم تعد تخاطبه ، ولا ترد على رسائله ، حاول أكثر من مرة أن يعرف ما حل بها ، ولكن عبثا كانت محاولاته .

مرت أشهر بدون أن تسأل عنه ، على الرغم من أنه دائما ما كان يردد لها ، كأنما الحياة في صوتك ، لا تجعلي صوتك يغيب عني .

على الرغم من الرضا الذي كان يملئ روحه ، لم يكن يحس بأي شيء . كل شيئا كان ناقصا بغيابها

دخل في حالة من الاكتئاب جعلته يميل إلى العزلة . أخذ قرارا بأن يقضي بعض الأيام مخيما في البرية بعيدا عن كل شيء ، عله يجد بعض السلام .

و في هذه الليلة حيث وقع مغما عليه ، اشتدت كآبته وتخدرت حواسه للدرجة التي جعلته لا ينهض من مكانه ليضع المزيد من الحطب على النار قبل أن تنطفئ ، أو يدخل خيمته . بل ظل في مكانه يراقبها وهي تموت

على مهل ، كان الخدر والنعاس اللذان شعر بهما ، أكبر من أن يجعلاه يهتم لأي شيء ، أغمض عينيه مستلما و قانعا بالنعاس والنوم ، فعندما سينام ، سيتوقف عقله عن التفكير بها ، و بالحياة وما كانت عليه ، و كيف هي الآن .

نام و كان الهواء البارد المحمل بنتف الثلج كفيلا بأن يجعله يفقد الوعي و لا يدرك شيئا مما حوله

عندما وصل تاتسو و معه طائرا البوم ، وجدوا الرجل باردا جدا ، و طبقة رقيقة من الثلج تكسوا الغطاء الذي عليه . أسرع تاتسو بجمع بعض الأخشاب و تكويمها فوق بعضها البعض ، رش بعض البنزين فوقها و أشعل قداحته لغرض إشعال كومة الأخشاب ، ولكن الرياح ما كانت تسمح لشعلة القداحة أن تبقى أكثر من ثانية ، عندها قام طائرا البوم بفرد أجنحتهما على امتدادها لرد الريح حتى يتمكن تاتسو من إشعال النار في الأخشاب . أشعل تاتسو النار في الكومة ، و أخذ يمدها بمزيد من الأخشاب كلما ضعفت النار

بعد انقضاء ما يقارب الساعة و تاتسو جالس يراقب النار ، و طائريْ البوم يراقبان من الشجرة ، قام الرجل و جلس . عندها قام تاتسو من مكانه و غادر متجها إلى كهفه ، وإلى أنثاه

قام الرجل من مكانه غير متأكد إن كان رأى قردا أو لا ، أطفأ النار ، و دخل إلى خيمته ليكمل نومه

# مستنقع

في البداية كانت تتأمله بإعجاب .. لم يعر الأمر اهتماما . فالمرء أحيانا يفتتن بأشياء ، ولا يفهم الآخرون السبب .

تطور الأمر و أصبحت تجلس على حافته ، ومن ثم بدأت تدخل قدميها فيه . شرح لها أنه غير نظيف وقد يسبب لها طفحا جلديا

توقفت لفترة عن هذه العادة ، ولكن ذات يوم وجدها جالسة في وسطه ، و المياه تصل حافة نهديها من أسفل

تملكته الرغبة ليصرخ ، ولكنه لا يستطيع الصراخ عليها ، قلبه قبل صوته لا يطاوعه . حادثها ، فخرجت .. ولكنها عادت في اليوم التالي وجلست في وسطه مجددا ، استجداها فخرجت .

في اليوم التالي عادت ، ومجددا اتخذت مكانها في وسطه . تبرم .. حاول الكلام ، ولكن الكلمات لم تسعفه ولم تطاوعه . استسلم للبكاء

أصبحت تجلس وسط هذا المستنقع معظم الوقت ، تراقب الفقاعات على السطح بريبة ، أحيانا تسبها ، و أحيان أخرى تدعو إحداها بصديقتي .

المستنقع ليس بكبير ، مياهه يغلب عليها اللون الأخضر ، و بالقرب من إحدى حوافه شجرة كبيرة ، يغطي ظلها المستنقع ، وورائه ، أي وراء المستنقع ، صف طويل من نبات القصب ، نبت في خط مستقيم كأنه جدار ، يحجب رؤية ما ورائه .

كلما جلست في المستنقع ، كانت حالتها الذهنية والنفسية تتذبذب بين السرور والتركيز الشديد ، بين الشرود لفترات طويلة ، والبكاء والصراخ ، بعد أن تقضي فترة في المستنقع تتأمل الفقاعات على السطح ، وبقع الضوء

التي نفذت من خلال أوراق الشجرة و تنعكس على سطح الماء .

ودائما في هذه المرحلة يخرج ضباب من وسط الماء ومن حواف المستنقع و يلفها من جميع الجهات . تظهر صور لمدن جميلة أمامها داخل الضباب ، شواطئ خلابة ، أناس تتملكهم الغبطة يملئون الشوارع و المقاهي بملابس غاية في الجمال ، وترى نفسها هناك بينهم ، في كامل أناقتها ، وزوجها جالس بجانبها ، حينا في مقهى ، و حينا في حديقة عامة . يتنقلان من مدينة لأخرى ، ومن حي إلى آخر . ومن ثم تختفي تلك الصور ، وتظهر صور أخرى لنفس الأماكن ، ولكن هذه المرة مدمرة ، و مهجورة من كل شيء ، إلا من البؤس . ومن ثم ترى نفسها وحيدة في بقعة خالية لا شيء فيها ، سوى الرمال ، والأحجار .

يصير الضباب أكثف ، و يلفها أكثر فأكثر ، حتى يحجب عنها الهواء . و هنا تبدأ بالصراخ أنقذني

يهرع إليها زوجها راكضا ، يسحبها ، فيختفي الضباب كأنه لم يكن

هذه المرة تكلمت وطلبت من زوجها - عليك أن تقوم بردم هذا المستنقع ، لم أعد أحتمل ذلك .

هو - سنردمه معا

كان الوقت ليلا والهدوء يخيم على المكان ، وجد نفسه واقفا أمام نبات القصب الذي كأنه جدار خلف الشجرة ، و يحجب رؤية ما ورائه ، واقفا و مشدودا لضوء أزرق خفيف يشتد وهجه و يخفت ، ينبعث من خلف نبات القصب .

تقدم باتجاه نبات القصب الكثيف ، أزاح أعواد القصب بيديه فاتحا لنفسه ممرا ليمر ويرى مصدر الضوء المتوهج . تجاوز نبات القصب بمشقة

ليست كبيرة . لم يسر بضع خطوات حتى توقف في مكانه من هول المفاجأة . مستنقعات على امتداد البصر ، مختلفة الأحجام ، بعضها يجلس بداخله شخص ، و بعضها اثنان ، بعضها يمتلئ بالمئات ، و بعضها بالآلاف ، وليس مبالغة أن بعضها تغص بالملايين من البشر .

كان المشهد غريبا ، و محيرا ، حتى لأكبر العقول . في بعض المستنقعات ، أناس لهم ألسنة طويلة تتجاوز المتر، بعضهم يمسك بواسطتها الذباب ، و البعض الآخر الحيوانات النافقة ، و الأعضاء البشرية المتناثرة ، التي قتل أصحابها و قطعوا إلى أجزاء .. و في مستنقعات أخرى تحدث مطاردات دامية بين الموجودين بداخلها ، تصل معظم الأحيان إلى عمليات قتل ، و في مستنقعات أخرى أناس تحادث نفسها و تهذي بكلام غير مفهوم ، و مستنقعات ينتحر من هم موجودون بداخلها بطرق مختلفة .. مستنقعات يمارس المتكئون في وسطها الجنس ، و بطرق مختلفة ، و في مستنقعات أخرى ، أناس تمارس الاستمناء دونما توقف.

صراخ هنا وهناك ، بكاء ، و تأوهات و ضحكات متعة . صراخ لا يتوقف ، و كلها تردد نفس الكلمة " أنقذوني .. أنقذني "

و بينما هو يشاهد المشهد ، تحركت الأرض تحت قدميه ، و خرج ماء منها ، غمره حتى ذقنه . ماء لزج و كثيف جدا ، منعه من الحركة . و خرجت أطياف من أماكن مختلفة ، بعضها لأناس يعرفهم ، و بعضها لأناس لم يلتقيهم من قبل . تجمعت الأطياف حوله ، و بدأت الدخول داخل جسده .

دب الرعب في قلبه ، و بدأ بالصراخ ، أنقذيني . أغمض عينيه و زادت حدة صراخه ، أنقذيني

فتح عينيه ، وجد نفسه على سريره ، و زوجته بجانبه ، و العرق يتصبب منه . مسحت العرق عن جبينه و كامل وجهه ، و حول عنقه ، و من ثم حضنته

# منطاد

يمكن تقسيم حياتي إلى ثلاث مراحل . المرحلة الأولى ، منذ الميلاد وحتى سن السابعة عشر ، وهي المرحلة التي قضيتها بكاملها في ليبيا . المرحلة الثانية من سن السابعة عشر وحتى الخامسة والعشرين ، و الثالثة منذ الخامسة والعشرين حتى الآن .

المرحلة الأولى كانت جميلة جدا ، هذا ما أشعر به كلما تذكرت تلك الأيام . كل شيء كان مختلفا عما عليه الآن ، كانت معظم العائلات متشابهة في المستوى المعيشي ، وفي نمط الحياة . كانت البساطة هي السمة الأساسية . هل الناس كانت أكثر بساطة وعفوية ، أم أن الظروف التي كانت متاحة في ذلك الوقت هي السبب . لا أعلم . ولا أريد الوقوف كثيرا في الأسباب ، فهي ليست ذات فائدة . ما يهم أن الحياة والناس كانوا أبسط ، وأكثر عفوية .

المرحلة الثانية ، مرحلة الدراسة بالخارج ، السفر والتنقل ، جنسيات متعددة ، ثقافات متعددة ، تنسجم و تتفاعل في تناغم ، و يتخلل هذا التفاعل صراع حيوي . اليمين ، اليسار ، الوسط . متدينون ، مؤمنون غير ملتزمون ، تشكيكيون ، لا أدريون ، و ملحدون . كلاسيكيون ، عدميون ، وجوديون ، عبثيون ، و فوضويون . حوارات لا تنتهي ، إلا لتبدأ من جديد . و أنا وسط هذا العالم ، وهذه الفضاءات مشدوه .

هناك .. وسط هذه البيئة ، ووسط هذا الخليط من الأجناس والثقافات و الألوان ، تعلمت هوايتي المفضلة ، أو بمعنىً أدق ، وجدت أجمل متعي على الإطلاق ، ركوب المنطاد والطيران . لوحدك أو برفقة ، لا يختلف الأمر كثيرا ، تطير في هدوء ، والنسيم يتخلل مسمات جلدك . ترى الصورة كاملة والألوان على حقيقتها . لست بعيدا عن الأرض ، و تستطيع

لمس السماء بيدك ، في النقطة التي لو كان الأمر بيد أبينا آدم ، لأختار أن يبقى هنالك إلى الأبد .

المرحلة الثالثة مرحلة العودة إلى الوطن .

عدت ، و كان كل شيء مختلفا ، العائلات مفككة بشكل غريب ، الكل لا يتقبل الكل ، المادية والأنانية ، حب المظاهر والتكلف ، هي السمات الطاغية على السلوك . صحيح بقي أولئك الرائعون كما هم ، أصحاب الأرواح الخفيفة ، من ابتساماتهم و ضحكاتهم تنير الحياة الرتيبة ، وهمساتهم و صراخهم و شكواهم تخبر دائما بأنه مازال وجود للخير والجمال هنا . ولكن مجموعات قليلة ، ما الذي يمكن أن تفعله أمام هذا الكم من البشاعة . أمام هؤلاء الآخرون ، الذين هم الجحيم .

جلبت معي منطادي ، و بدأت رحلة الحصول على الموافقة للطيران به ، بعد أخذ و رد ، مع الجهات الأمنية ، و بعد أن اقتنعوا أنني لا أشكل خطرا على الأمن العام ، أمن المواطن والنظام ، وافقوا وهم يضحكون ، بشرط أن أطير في الفضاءات المفتوحة ، بعيدا عن بيوت الناس و مزارعها ، حفاظا على خصوصية المواطنين ، و بعيدا عن الجهات العامة والمنشآت . بعضهم نظر إلي بإعجاب و همس لصاحبه ، أنظر إلى الناس التي تفهم ، اختار التحليق و ركوب الريح ، بعيدا عن الناس و نميمتهم و أحاديثهم المكررة . بعضهم طلب أن يذهب معي في رحلة يوما ، و بعضهم ارتاب من هذا الذي يغلب على طبعه نمط الأجانب الأوروبيين ، ربما هو عميل ، يجب أن نبقيه تحت أعيننا دائما .

أول مرة أطير هنا في وطني ، كانت تضاهي سحر المرة الأولى التي طرت فيها . لا أخفي عليكم ، لم أنجح كثيرا في التأقلم مع الناس ، لذلك كان الطيران متعة لا توصف . استمرت الأيام و أنا أقضيها بين البحر و المقاهي ، والطيران بالمنطاد كلما كان الجو جيدا .

أنعم الله عليَ برفقة رائعة ، أناسٌ أصحاب أرواح خفيفة و فكر مستنير ، والذين لولاهم و بدونهم ، لجننت من الواقع اليومي و تَغَوُّلِ الناس بعد الثورة .

هالني عدد الذين قابلتهم يريدون العيش في بلد آخر وواقع آخر ، من كل أولئك ، شخص واحد تتردد كلماته دائما في ذاكرتي . يجب أن تشكر الله كل يوم لأنه أعطاك الفرصة لتعيش أياما سعيدة ، أن تعيش وسط أناس يتمتعون بالإنسانية و النضوج ، لا يفرقون بين الألوان والأجناس ، يحبون بحرية ، و يُعَبِّرون بحرية ، و يتعاملون بحسن نية . حاولت أن أشرح له أن معظم كلامه صحيح ، و لكن هنالك بعض العيوب كذلك في الناس هناك ، و لكنه لم يعطني فرصة لأتكلم ، أخبرني بما صعقني - تصور ، أخي متزوج و يعيش في الطابق الثاني فوقنا ، و حتى الآن ، لا أعرف شكل زوجته ، كلما نزلت لبيتنا ، تأتي وهي ترتدي السواد ، وجهها مغطى و حتى يديها . أخ تقضي عمرا أنت وهو في غرفة واحدة ، و يوم يتزوج يفرض على زوجته ألا يرى أخوه وجهها ، و ألا تحادثه . بربك ، أي أخوة هذه ، و أية حياة .

بعد قيام الثورة ، أو الانتفاضة ، أو النكسة . كلها أسماء تطلق على ما جرى في عام 2011 ، و كلها أوصاف تصح . زادت الفجوة بيني و بين الناس و نمط الحياة .

حَدَثت الكثير من الأشياء التي تحدث في مثل هذه الظروف ، قتل ، تهجير ، خطف ، سرقة ، تعذيب ، ابتزاز ، تدمير ممنهج لكل شيء . عمت الكآبة والموت على المكان ، ولم يعد وجود للكرامة الإنسانية . ووسط هذا الكم من اللامنطق والعبث ، حُرمت من أهم وسائل مقاومتي لهذا الجنون المطبق ، الطيران بالمنطاد .

لا يمر يوم لا يطلق فيه الرصاص ، بمختلف أنواعه و أحجامه ، بعضه في أجساد الآخرين ، و بعضه الآخر في الهواء . مما يجعل الطيران فكرة

مجنونة ، ومخاطرة تؤدي إلى الموت ، لا يُعلم متى ينطلق رصاص من مكان ما و يصيب المنطاد . و أصحاب الأرواح الخفيفة ، طغت الكآبة على أرواحهم ، عَلِقُوا في زاوية بين الحياة والموت .. أن تجد جثة ، أو مجموعة من الجثث ، مرمية على جنبات إحدى الطرق ، أو بجانب أماكن تجميع القمامة ، أصبح أمرا مكررا ، كثر فقدوا عقولهم ، ولم يستطيعوا احتمال كل ذلك .

فكرتُ في السفر إلى الخارج مرات عدة ، و لكنني استحيت ، فالوطن مكان نعيش فيه في السراء والضراء ، على الرغم من أنني شجعت الكثيرين على الخروج . فمن لا طاقة له على الاحتمال ، ليس مجبرا على تحمل عبث الآخرين الذي ينتهي . قاومت كثيرا ، و لكن الفترة الأخيرة كانت الأشد وطأة و سوداوية . ذاك اليوم ، كنت جالسا أنا و جاري أمام بيته والكهرباء مقطوعة ، لم يعد لنا من أحاديث إلا عن الموت اليومي ، و الفساد الذي لم يُبقي على شيء . اشتكى جاري من الانقطاع الطويل للكهرباء ، و أنَّ أمه التي تعاني من ضغط الدم العالي ، لا تستطيع احتمال حرارة الجو العالية ، مما يجعلها تعاني الصداع المستمر ، و بأنه لا يمتلك ثمن مولد كهربائي ، لكي يوفر لها التكييف ، و الإنارة إلى أطفاله - و من أين لي توفير ذلك أمام هذه الأسعار ، مرتبي لا أحصل عليه كله ، و هذه الأسعار تحتاج ضعف مرتبي ، لم أعد أعرف ماذا أفعل ، كرهت الحياة . و أخذ يبكي

لم أستطع النوم ليلتها ، دموع أرباب الأسر حارة ، و تقتل . اليوم التالي ، ذهبت إلى ضواحي المدينة ، حيث المساحات الخالية متوفرة ، ملئت المنطاد بالهواء و طرت . لخمس سنوات ، لم أُحَلِّق خوفا من العواقب ، و لكن السخط الذي ملئني كان أكبر من الخوف . تمنيت ألا أهبط أبدا ، و أن تأخذني الرياح إلى مكان آخر .

دب الهلع في قلبي ، أصوات رصاص تُسمع ، ولا يُعرف مصدرها ولا اتجاهها ، بعد دقائق ، بدأ المنطاد في فقد الهواء ، أصيب و تمزق ، و لأنني كنت على ارتفاع عال ، والمزق كبير ، هويت باتجاه الأرض بسرعة ، دون تمكني من التحكم بالهبوط . سقطت على الأرض بقوة ، و هذا آخر شيء أتذكره .

صحوت و أنا في المشفى ممدد على سرير ، مصاب بأربعة كسور في الساق و اليد ، ولازلت حائرا بين البقاء هنا ، أو السفر .

# أنقياء

في غرفة الجلوس ، يقلب صفحات الجريدة على مهل ، يبحث عن مقال يفتتح به قراءته للجريدة . مرت زوجته من أمامه ، و جلست على الأرض تطوي ملابس قديمة لم تعد تصلح للارتداء . بعد أن أكملت طيها وضعتها في كيس ، و أخرجت الكيس للخارج ووضعته بجانب سلة القمامة .

في الصباح خرج الزوجان للذهاب للعمل.

لاحظت اختفاء كيس الملابس ، بينما القمامة مازالت في مكانها ، مخاطبة زوجها قالت - أنظر لقد اختفى كيس الملابس بينما القمامة لازالت في مكانها ، يبدو أن أحدهم أخذه . مسكين .. كل الملابس التي بداخله لم تعد جيدة أو تصلح للارتداء .

لم يتكلم أو يرد بأي كلمة ، ولا هي أضافت أي شيء . ظلا صامتين حتى وصلا إلى ناصية الشارع ، حيث يأخذ كل منهما طريقا مختلفة للذهاب إلى عمله ، ودعا بعضهما و مضى كل منهما في طريقه .

في المساء كعادته جالس على الأريكة و بجانبه فنجان القهوة ، و يستمع للموسيقى . جاءت زوجته وهي تحمل كومة ملابس ، جلست على الأرض تطويها . بادرت بالكلام - لقد أخذتُ بعضا من ملابسك و ملابسي لأضعها في كيس ، ربما يأتي نفس الشخص ليأخذها ، تلك الملابس لا تصلح للارتداء ، ولن تدوم لشهر أو شهرين آخرين ، لن يستفيد منها ، ولكن هذه جيدة ، إن أخذها سيستفيد منها .

ابتسم لها و قام من مكانه و اتجه إلى غرفته . عاد و في يده بعض المال ، ناوله لزوجته - ضعيه داخل الملابس . و انحنى ليقبلها ، و عاد ليجلس على الأريكة .

وضعت الكيس بالخارج وهي تبتهل أن يمر نفس الشخص و يأخذه .

في صباح اليوم التالي ، و قبل أن تعد طعام الفطور أطلت برأسها من النافذة لترى هل مازال الكيس في مكانه أم لا . لم تجد الكيس ، ابتهلت مجددا أن يكون نفس الشخص هو الذي أخذه .

في اليوم الذي تلى ذلك ، طُرق باب منزل الزوجين ، فتح الزوج الباب فوجد أمامه شخصا يرتدي معطفا قديما ، خمن أنه معطفه ، بل وصل حد اليقين أنه معطفه . حياه الرجل

- السلام عليكم

- و عليكم السلام ورحمة الله

صمت الرجل للحظات ، يفكر كيف سيقول ما جاء ليقوله . صحيح أنه رتب في ذهنه ما سيقول منذ الليلة الماضية ، و لكن يظل للحياء تأثيره على البعض في مثل هذه المواقف . و لكن صمته لم يدم طويلا و أردف يتحدث

- أنا الشخص الذي أخذ كيس الملابس التي لم تعودوا بحاجة إليها . هز الزوج رأسه وهو يشعر ببعض الاضطراب والحياء ، أراد أن يقول شيئا و لكن عقله لم يسعفه ، لم يبقى على هذه الحالة إلا لحظات . فقد عاد الرجل الذي أخذ الكيس للحديث

- بالأمس عندما أَخَذت زوجتي تقلب ما في الكيس وجدت هذا المال . و أخرج من جيبه المال .

لقد تناقشنا أنا و زوجتي و نعتقد أنكم قد نسيتموه بالملابس قبل رميها ، و قد جئت أعيده لك

لم يتكلم أو يرد الزوج بأي كلمة ، ألتفت لينادي زوجته لتنظر لما يحدث ، و لكنه قبل أن يناديها وجدها قد وصلت إليه ، وهي تمد يدها لتصافح الرجل ، و تكبح دمعة هو فقط يدرك أنها تكاد تسقط من عينيها

**رحيل ساخط على الحياة**

الساخط هو أنا ، وهذه حكايتي

يتوقف عن الركض و يلتفت إليها خلفه

- بسرعة .. أنت دائما بطيئة

و قبل أن تجيبه ، يكمل صعوده الدرج راكضا

تصعد خلفه لاهثة .. عندما وصلت إلى السطح ، وجدته يرقص .. فاتحا ذراعيه ويدور حول نفسه في نشوة . التفت باتجاهها دونما أن يتوقف عن الرقص ، هلَّا ترقصين معي

و يتحرك باتجاهها ، يمسكان بأيدي بعضهما ، و يشرعان في الرقص .. لا موسيقى .. هو يدندن بصوته ويضحك

- لما أنت حزين .

- أنا حر وخفيف

- لا تأتي للسطح ، إلا عندما تكون مختنقا ، تبحث عن براح واسع و أفق ممتد

- هذه المرة مختلفة ، أنا حر ، وخفيف

أحست بشيء مختلف فيه . اعتراها بعض القلق ، ولكنه رغم كل شيء كان فَرِحا و خفيفا

- كم أكره سكون هذه المدينة و صمتها .. ليس فيها الشيء الكثير لِيُحَب

أوقفه صوت أطفال يلعبون في الشارع . ظل تركيزه معهم للحظات .. و من ثم عاد للحديث

هذه من الأشياء القليلة المعدودة ، التي تجعلك تحبينها كمدينة و تحبين الحياة ، هؤلاء الأطفال

و لكن لأكون منصفا .. فيها أجمل شيء في الكون .. أنتِ .. و يحضنها

زاد قلقها ، لطالما كان هشا و مرهفا . ولكن هشاشته في هذه اللحظة تبعث على القلق

سألته مجددا - هل هنالك شيء يزعجك

أجابها وهو مستمر يحضنها - لا . كل ما كان يزعجني غادر

عندما يحبك الله فإنه دائما يضع في دربك الرائعين من خلقه .. أدركت ذلك عندما وجدتكِ . يبتسم و يقبّلها

- أسماء .. هل أطلب منكِ طلبا

هزت برأسها ، بمعنى ماذا تريد

- نسيت قنينة الماء في الأسفل ، هلا تحضرينها

نظرت إليه للحظات ، و لكنها ذهبت لتحضرها

نزلت الدرج ، نزلت طابقين .. نادها هو من فوق

- أسماء . تركت لك مع أمي شيئا ، أريدك أن تأخذيه منها بعد أسبوع .

لم تفهم سبب ذلك ، و لكنها أجابته على مضض - حسنا

- عديني بذلك

- أعدك .. سأذهب لأحضر الماء ، اكتفيت من ترهاتك

هو ضَحِك ، وهي اكملت طريقها نزولا

التفت ناحية حافة السطح ، و بدأ يركض باتجاه الحافة ، وما إن وصلها ، حتى قفز ، وهو فاتح ذراعيه مبتسم

هوى من سطح بنايتهم ذات الاثني عشر طابقا

اختار الجهة المعاكسة ، لمكان لعب الأطفال .. لم يكن يريد أن يرعبهم .

علا الصراخ وتجمعت الناس

*  *

مضت ثلاثة أشهر ، ولم تفي أسماء بوعدها .. كانت مع أمه في المطبخ ، تحضر الماء عندما سمعت الصخب تحت العمارة

لم تستطع أن تسامحه ، لأنه فعل بنفسه وبها ذلك ، ولا أن تعود مجددا لشقتهم منذ أن تم دفنه .

و لكن تحت تأثير الوعد الذي وعدته له ، و أنها أمنيته الأخيرة ، قررت الذهاب لزيارة والدته ، و أخذ ما تركه لها

لم تبقى طويلا في شقتهم مع أمه ، فالبيوت عندما يغادر أحد أفرادها الحياة بصنع يده ، تحتاج لفترة طويلة لتعود كما كانت

في المساء فتحت الصندوق الذي تركه له ، لم تكن لديها أي رغبة بذلك .. ولكن تحت تأثير الوعد الذي وعدته له ، و أنها أمنيته الأخيرة ، تقوم بذلك

وجدت في الصندوق الصغير الذي لا يتجاوز طوله و عرضه العشرين سنتمترا ظرفا يحتوي على مال ، و ورقتين مكتوبتان بخط اليد

تناولت الورقة و أخذت تقرأها

حبيبتي أسماء .. لطالما كانت لدي تلك العقدة الدائمة . لم أستطع يوما التأقلم مع الحياة .. ولا مع فكرة ما بعد الحياة

من الرائع وجود الجنة ، لكي يحصل المحرمون على ما حرموا منه في هذه الحياة . تصوري .. ذات مرة أخبرني فقير ، أنه كلما رأى شيئا يريده وليس معه ثمنه ، يُلَوّح له ويقول له نلتقي في الجنة ، لدرجة أنَّ أحد أبناءه عندما يشتهي شيئا ، يرد عليه أحد أخوته مباشرة يعوضنا الله خيرا منه في الجنة

الجنة لمثل هؤلاء حق مستحق . يعوضهم الله بها عن حرمانهم

و لكنني هش يا أسماء . لا أحتمل رؤية الفقراء والمعدمين . ولا الظلم والمظلومين

ذات مرة و أنا أقرأ الجريدة ، وجدت خبرا عن فتاة تعمل في مصنع ، وُجِدَت مرمية على جانب الطريق .. مغتصبة و جسمها مليء بالجروح و الكدمات . الفتاة هي من تعيل أسرتها .. كثيرة هي الحوادث مثل هذه .. أعلم .. و لكن ما هذه الحياة التي يعذب فيها الجيدون و يُظْلَمون

ظللت لأيام أسئل الله لماذا حدث ذلك لها ، لماذا يا إلهي لم ترحمها وتمنع عنها ذلك

بعد أيام أرسل الله لي الإجابة ( خَلَقْتُ الحياة لتكون دار ابتلاء ، لكل نصيبه من الامتحانات ، صحيح أن بعض تلك الامتحانات قاسية جدا . و لكن على قدر القسوة يكون التعويض ، ستدرك ما أقوله عندما ترى كيف سأعوض الأرواح المعذبة .

و أما الفتاة فأنا معها ، ورحمتي تأتي على أشكال مختلفة )

يبدو أن الجنة تستحق كل ذلك يا أسماء .. فليتقدس الله . هذه مشيئته ، ولَن يظلم أحدا من خلقه .

و لكن لا طاقة لي على الاحتمال .

لطالما أحببت فكرة العدم .. تخيلي معي يا أسماء .. لو أوجد الله العدم .. أن الإنسان بعد موته لا يعود له وجود ، تنتشر ذراته في الهواء ، ولا يبقى منه شيء ، إلا الذكرى

العدم كجزاء اختياري ، يختاره كل من يريد إنهاء حياته طواعية .. لمن لا يطمع بحياة النعيم ، ولم يفعل من الشرور ما يجعله يستحق دخول النار .. حينها سيرقص فرحا كل من يعاني في هذه الحياة ، الفقراء والمُعْدَمون ، من عانوا من ويلات الحروب ، ومن مازالوا يعانون .. سيسكرون جميعهم حد الثمالة ، و يُقَبِّلُون كل أحبابهم و يحضنوهم .. والمتزوجون سيقضون ليلتهم الأخيرة في ممارسة الحب غالبا ، ومن ثم سيُقْبِلُون جميعهم بارتياح على العدم ، والدفء يملئهم .

حينها ستختفي وصايا ما بعد الموت .. فما الحاجة لأن تكتب وصية لأناس ، قد يختارون أيضا العدم بعد مفارقتك بساعات .. حتى الجنة والنار سيفقدان الزخم المحيط بهما ، سيقل ذكرهما كثيرا ، فلا أظن أن من وُلِدَ في قلب مجاعة والأوبئة تملئ جسده ، سيهتم بنخل أو ثمر أو قصور .

لو وُجد العدم لكان يضاهي الموت قدسية بل يفوقه ، و لكان سببا في فناء البشرية ، فمعظم البشر يملئهم السخط على الحياة والبشر ، و لولا الخوف من النار والعذاب لاختاروا جميعهم إنهاء حياتهم طواعية .. لهذا أعلم أنه لا وجود للعدم

و لكن الله برحمته الواسعة ولطفه . بالتأكيد أوجد مكانا لنا .. للذين لا يحتملون الحياة

الله الذي يحبني ذلك الحب الكبير ، الذي جعله يضعك في دربي ، لن يدخلني نارا

أريدك أن تسامحيني

المبلغ الموجود في الظرف هو خمسة آلاف . ليس معي أكثر منه ، أريدك أن تزوري الأمكنة التي تحبينها ، وأن تعيشي الحياة ، ففيها كثير يستحق العيش لأجله

حبيبتي أسماء سامحيني .. لقد اتصلت بك ذلك اليوم لأنك آخر وجه أردت رأيته

أحبك

**فهرس القصص** :

1- سلام

2- هل تفكر في الجنة

3- ناقصات عقل و دين

4- ملاك

5- شاي الزعفران

6- أحلام

7- زهرة 1

8- زهرة 2

9- وحدة

10- الملاك جلال

11- هواجس ليلى

12- أنا قط

13- حذاء جديد

14- قبلة

15- سحر قرطاج

16- بوبولينا

17- حنين

18- اكتئاب

19- الحياة اليومية

20- فرح

21- مطر

22- أحلام 2

23- دفتر تلوين

24- تاتسو

25- مستنقع

26- منطاد

27- أنقياء

28- رحيل ساخط على الحياة

ما أجمل أن تُرَى ولا تُرَى . أن ترى الوجوه والأفعال المخفية للبشر . على الرغم ما للأمر من تأثير سلبي على النفس والمزاج .

قبل أن يخلق الله جلّ في علاه أباكم آدم عليه السلام ، وقَدَّم وصفه عن المخلوق الذي هو مقدم على خلقه ، كان ردنا كما هو مذكور في القرآن ( أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ )

دار الجسام للنشر والتوزيع